الطريق إلى الله

تأليف
الدكتور عبد الرحمن عميرة

دار الجيل
بيروت

الطريق الى الله

جميع الحقوق محفوظة

الطبعـــة الثانيـــة
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله — بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ونصح الأمة .. وبعد ..

هل في مقدور الفرد أن يكون قريباً من ربه ؟ ..

وإذا كان فما الوسيلة إلى ذلك .. ؟

إن الله سبحانه وتعالى أعلن أنه قريب من عباده ، قريب منهم في السر والجهر ، في الفلاة والحقل ، في الصحراء والسهل ، في المسجد والمسكن ، في حال الصمت والكلام ، في أثناء اليقظة والمنام ، في حلول الليل وادبار النهار :

قال تعالى :

« ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » [1] .
أقرب إليه من نفسه التي بين جنبيه .
أقرب إليه من همسه الذي يكون بين شفتيه. قال تعالى :

« وما تكون في شأن ، وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين » [2] .

وقال أيضاً :

« وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون » [3] .

إن الرجل المسلم الذي تشرب الإيمان قلبُه ، وخالط كل ذرة من ذراته يؤمن إيماناً لا جدل فيه ، أن الله معه يحصي حركاته ، ويسجل أعماله ، وعليه أن ينظف سلوكه وفكره ، وينظف شعوره وقلبه .

يفعل المسلم ذلك لا لأن الناس معه وهو مضطر إزاءهم أن

---

(١) سورة ق آية رقم ١٦ .
(٢) سورة يونس آية رقم ٦١ .
(٣) سورة الأنعام آية رقم ٦٠ .

يتنظف وإنما لأن الله معه دائماً وفي كل لحظة .

قال تعالى : ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا »[1] .

والجيل الأول — جيل الصحابة — رضوان الله عليهم — كانوا يؤدون أعمالهم وهم يرون أن الله معهم في كل ما يأتي أحدهم من أمر أو ينتهي عن نهي .

فكأن الفرد منهم كان لا يتعامل مع مجتمعه ، ولكن تعامله مع ربه . أو بعبارة أخرى يتعامل مع هذا المجتمع والشاهد الله .

وعمر بن الخطاب — رضي الله عنه — رفضت إحدى النساء أن تتزوجه ولما سُئلت عن ذلك قالت :

« إن هذا رجل فرغ من دنياه واتجه إلى آخرته ، كأنما ينظر إلى ربه بعينيه » .

هذا بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى وقربه من عباده .

ولكن يبقى السؤال الآخر هل في مقدور هذا الإنسان الفاني الضعيف أن يكون قريباً من مولاه ؟ ..

إن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه :

---

(١) سورة المجادلة آية رقم ٧ .

« وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعان » [1]

وقال تعالى :

والسابقون السابقون أولئك المقرّبون » [2] .

وإذا كان ذلك كذلك فما وسيلة القرب .. ؟

وما هي المطية التي تنقلنا إلى هناك .. ؟

هذا كان موضوع دراستنا في هذا الكتاب وأرجو أن يكون الله سبحانه وتعالى قد وفقنا إلى الاجابة على ذلك .

«ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » [3] .

٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٩٩ هـ

د . عبد الرحمن عميره

أستاذ المذاهب المعاصرة بجامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية — الرياض

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٦ .

(٢) سورة الواقعة آية رقم ١٠ .

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦ .

الحياة والكون بين الدين والعلم

.. يقف العقل البشري مذهولاً أمام التطور العظيم الذي أحرزته الإنسانية في القرن العشرين في بعض جوانب المادة ، هذا التطور الذي لم يحققه جيل من الأجيال السابقة ، ولم تحلم به البشرية في تاريخها الطويل ، فهل استطاع الإنسان عن طريق العلم أن يكشف مغاليق الكون ويتعرف على أسرار الوجود .. ؟

لا يستطيع منصف أن ينكر ما أحرزه الإنسان من تقدم في مجال العلم الطبيعي ولكن يبقى سؤال آخر .

هل وفق العلم في الإجابة على بعض التساؤلات التي تحوك في داخلنا ولا يجد لها جواباً .. ؟

وعندما أدخل العلمُ النفسَ البشرية إلى معمله ووضعها تحت مجاهره ومعداته أتراه عرف السير داخل دروبها ومسالكها

وفض الأختام عن أسرارها ومعمياتها ؟ ..

يقول « شاشاوان » : مهما يكن تقدمنا العجيب في العصر الحاضر علمياً وصناعياً واقتصادياً واجتماعياً ، ومهما يكن اندفاعنا في هذه الحركة العظيمة للحياة العملية وللجهاد والتنافس في سبيل معيشتنا ومعيشة ذوينا . فإن عقلنا في أوقات السكون والهدوء عظاماً كنا أو متواضعين ، خياراً كنا أو أشراراً يعود إلى التأمل في هذه المسائل الأزلية .

« لِمَ ، وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم.. ؟ وإلى التفكير في العلل الأولى أو الثانية ، وفي حقوقنا وواجبنا .. ؟ (١)

من يجيب عن هذه الأسئلة .. ؟

أيجيب عنها العلم الجبار المكتسح في داخل معمله ..؟

أيجيب عنها العلم المادي ، أم العلم الإنساني .. ؟

أيجيب عنها علم الطب ، أم علم التشريح ، أم علم النفس .. ؟

لو كان الأمر أمر « شاشاوان » أو مجموعة من الناس ، أو جيل من الأجيال ما كان هناك بأس .

ولكن الأمر أمر البشرية كلها أمر الأجيال السابقة ، والأجيال اللاحقة يقول : « بارتيلمي سانت هيلير » : هذا اللغز

---

(١) نقلا عن بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان – د . عبد الله دراز .

العظيم الذي يستحث عقولنا ، ما العالم ؟ ما الإنسان ..؟ من أين جاءا .. ؟ من صنعهما .. ؟ من يدبرهما .. ؟ ما هدفهما .. ؟ كيف بدآ .. ؟ كيف ينتهيان .. ؟

ما الحياة .. ؟ ما الموت .. ؟ ما القانون الذي يجب أن يقود عقولنا أثناء عبورنا في هذه الدنيا .. ؟

هل يوجد شيء في هذه الحياة العابرة .. ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود .. ؟ (١)

يقول بعض المفكرين : إن العلم قد أوجد الأصول والقواعد النهائية للحقيقة ولم يترك للمستقبل إلا النظر في التفاصيل » (٢) .

إذن العلم ، والعلمُ وحده ، هو الساحر الذي يجيب على تساؤلات البشرية وينقذها من هذه الحيرة .

ولم لا . ؟ ألم تترك أوربا المجال للعلم ليقتحم كل شيء ، ويجيب على كل شيء في رأيها .. ؟

ولكن « وليم جيمس » وهو من أشهر مفكري أمريكا على الإطلاق وأحد قادة الفكر الحديث في التربية وعلم النفس يقول رداً على أولئك الذين بهرهم العلم فسلموا مقاليدهم إليه :

« إن أدنى تدبر وتأمل في الحالات الواقعية يبين ضلال مثل

---

(١) كتاب ارادة الاعتقاد : تأليف وليم جيمس ترجمة الدكتور محمود حب الله .

(٢) المصدر السابق .

هذه الفكرة وبعدها عن الصواب : إذ أنها لا تصدر إلا عن شخص ضعفت عنده قوة الخيال العلمية ، فهل من المعقول إذن لعلم محدود مثل هذا ولمعرفة نمت في وقت قصير ولم تنضج بعد أن يكون أكثر من ومضة من المعرفة الحقيقية للعالم ؛ حينما يفهم فهماً دقيقاً ويدرك إدراكاً شاملاً — إن معرفتنا ليست إلا قطرة بجانب بحر ؛ ألا وإن البحر هو جهلنا ؛ ومهما يكن من يقين أو من عدمه حول كثير من الأشياء فإن عالم المشاهدة محاط بعالم آخر أكبر منه ولكننا لا نعرف في الوقت الحاضر شيئاً عما يتصف به من صفات إيجابية » [1] .

.. إن هذا التقدم العظيم في مجال العلم والتكنولوجيا ، وفي مجال الطبيعة والوجود ليس إلا قطرة من بحر وذرة من رمل . يقول هذا الكلام رجل عرف خبايا العلم ، ودرس أصوله وقدراته ، وعاش في أمريكا حيث مجالات العلم ومعامل الاختراع التي لا تكف عن الجديد .

وصدق ربي في قوله :

« وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » [2] .

وهذا العجز الذي صوره « وليم جيمس » هو في عالم الطبيعة عالم المادة ، فإذا أردنا أن نتعرف على ما وصل إليه العلم بالنسبة لهذا الكائن العجيب الذي يسمى الإنسان ونتأمل في أجهزته

---

(١) المصدر السابق .

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٨٥ .

الدقيقة « صنع الله الذي أتقن كل شيء »[1] نرى عالماً آخر هو الدكتور « ألكسيس كاريل » يقول :

« لست فيلسوفاً ولكني رجل علم فقط ، قضيت الشطر الأكبر من حياتي في المعمل أدرس الكائنات الحية ، والشطر الباقي أراقب بني الإنسان وأحاول أن أفهمهم » .

ماذا كانت ثمرة هذه الدراسة الجادة الممتدة ؟ .. وبماذا عاد الدكتور « كاريل » وأمثاله من خبرات بعد هذا العمر الطويل الذي قضاه في المعمل ، وبين تجمعات الناس .. ؟

يجيبنا على هذا بقوله :

« واقع الأمر أن جهلنا مطبق فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب لأن هناك مناطق محدودة في دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة . فنحن لا نعرف حتى الآن الاجابة على أسئلة كثيرة مثـــل :

١ ـــ كيف تتحد جزئيات المواد الكيماوية لكي تكون المركب والأعضاء المؤقتة للخلية ؟ ..

٢ ـــ كيف تقرر « الجنس » ناقلات الوراثة في نواة البيضة صفات الفرد المشتقة من هذه البويضة ؟ ..

٣ ـــ كيف تنتظم الخلايا في جماعات من تلقاء أنفسها مثل الأنسجة والأعضاء فهي كالنمل تعرف مقدماً الدور الذي

---

(١) سورة النمل آية رقم ٨٨ .

قرر لها أن تلعبه في حياة المجموع وتساعد العمليات الميكانيكية الخفية على بناء جسم بسيط ومعقد في الوقت ذاته .. ؟

وهناك أسئلة أخرى لا عداد لها يمكن أن تلقى في موضوعات تعتبر في غاية الأهمية بالنسبة لنا ، ولكنها ستظل بلا جواب .

ومن الواضح أن جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان غير كاف . فإن معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية في الغالب » ..

وإذا كانت هذه هي قدرات العلم ووسائله تتقدم ولكن في مجال محدود ؛ وترسل أضواءها لتكتشف ولكن في دائرة لا تتعداهـا .

وهناك أمور يقف أمامها العلم عاجزاً لم يلج معمياتها بعد فماذا نفعل .. ؟

أنلجأ إلى العقل لعله يكشف لنا النقاب عن هذه الأسرار ؟ ..
وهل في مقدوره اقتحام أسوارها وفض كنوزها .. ؟
لنسر معه جولة أخرى فمن يدري.

لقد نادى مفكرو عصر التنوير في القرن الثامن عشر بوجوب سيادة العقل كمصدر للمعرفة على غيره ..

من هؤلاء الفيلسوف الألماني ولف Woh ، ولسنج Lessing وفي انجلترا لـوك John Lock وفي فرنسا فولتـير Voltaire

وبايل Bayle ولامتري Lamettree والعقل عند هؤلاء الحق في الاشراف على كل اتجاهات الحياة وما فيها من سياسة وقانون ودين .

ومنْ أجل ذلك وجدت الخصومة الفكرية بين العقل والدين ، واتجه التفكير فيه إلى اخضاع الدين للعقل ، لذلك عدّ زمن هذا العصر — بعصر سيادة العقل ولكن الفيلسوف « بلانش » Ballanche يهاجم هذا الاتجاه وينقد سيادة العقل كمصدر وحيد للمعرفة ويذكر أن فلسفة التنوير — أخطأت عندما قصدت إلى أن العقل وحده ومن نفسه يمكن أن يوجد الحقيقة وينظم الجماعة .

فإذا ما تركنا « بلانش » واتجهنا إلى فيلسوف آخر هو « برجسون » نراه يقول عن العقل :

« إن العقل يتصف بعجز طبيعي عن فهم الحياة » .

وصاحب المذهب التجريبي يقول :

« غاية المعرفة الإنسانية هي تحصيل علل الظواهر الطبيعية وترتيب آثارها في دائرة قليلة من العلل العامة ، أما محاولة كشف علل أخرى لهذه العلل العامة أو كشف علة واحدة مشتركة لها فهي محاولة غير مجدية من الطريق الإنساني أي لا يصل إليها الإنسان وصولاً علمياً يقينياً » (١) .

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي : د . محمد البهي .

فالحقائق الدينية لا يمكن أن تعلم أبداً عن طريق الإنسان سواء بعقله أو حواسه — نقصد بعض الحقائق — وإنما يصدق الإنسان بها فقط ، فإذا ما اتجهنا إلى الإسلام لنتعرف على رأيه بالنسبة للعقل فنراه يقرر أن العقل هو الأداة التي وهبها الله للانسان وزوده عن طريقها بالوسائل التي تحقق له الخلافة في الأرض ولم يكلفه أكثر مما يطيق وفي الكون أمور لا يحيط بها إدراك العقل ، ولا تستوعبها أداته المحدودة التي زوده الله بها ، ولكن مع ذلك وعن طريق هذه الآلة التي تسمى العقل يتحقق لهم ما يريدون في رحلتهم القصيرة — رحلة الحياة — ودور العقل في الإسلام هو التلقي عن الرسول والالتزام بالوحي .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله :

« وصلة الدين بالعقل تتلخص فيما يأتي :

١ — جاء الدين هادياً للعقل في مسائل معينة هي أولاً ما وراء الطبيعة — أي العقائد الخاصة بالله سبحانه وتعالى وبرسله وباليوم الآخر وبالغيب الإلهي على وجه العموم .

٢ — في مسائل الأخلاق — أي الخير والفضيلة وما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني ليكون الشخص صالحاً .

٣ — في مجال التشريع الذي ينتظم به المجتمع وتسعد به الإنسانية وجاء الدين هادياً للعقل في هذه المسائل بالذات ، لأن العقل إذا بحث فيها بحثاً مستقلاً بنفسه فإنه لا يصل فيها إلى نتيجة يتفق عليها الجميع .

جاء الوحي هادياً للعقل وقائداً له في الأمور التي لا يتأتى للعقل أن يلج ميادينها أو يقتحم حماها أو يدلي فيها برأي يتفق عليه الناس »[1] .

وليس من اختصاص العقل في الإسلام أن يوازن بين مقرراته الخاصة ومقررات الله .

إن له أن يعارض مفهوماً عقلياً بشرياً للنص بمفهوم عقلي بشري آخر ، هذا مجاله ، ولكنه ليس حكماً في المقررات الدينية : ليس حكماً له الحرية في أن يصحح ويبطل ، أو يقبل ويرفض وإلا لوقع في دائرة المحظور ، يقول الله تعالى :

« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض »[2] .

فإذا ما أردنا أن نتعرف على آراء المفكرين بالنسبة للعقل رأينا المفكر الانجليزي الذي عاش في القرن التاسع عشر الميلادي يكاد يلخص مذهبه ونتاج فكره في عبارته التي يقول فيها :

« نحن لا نعرف شيئاً وسوف لا نعرف شيئاً » .

ونقول : أفشل العقل إذن وألقى كل أسلحته ..؟ أهناك منطقة محرمة عليه لا يمكن أن يطرقها ؟ ..

وإذا كان ذلك كذلك فماذا نفعل .. ؟ وأين نتجه..؟

---

(١) الإسلام والعقل : دكتور عبد الحليم محمود .
(٢) سورة البقرة آية رقم ٨٥ .

أنلجأ إلى الدين ؟ .. ولكن قبل أن نطرق بابه ونتعرف على أعتابه يجب أن نتعرف عليه حتى نكون على بصيرة منه ..

إن علماء المسلمين يعرفون الدين : بأنه الوضع الإلهي السائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل .

ويمكن تلخيص القول السابق بأن نقول :

« الدين وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات »[1] .

ويقول : « شيشرون » في كتابه عن القوانين : الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله » .

ويقول « كانت » في كتابه « الدين في حدود العقل : الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية » .

ويقول « روبرت سبنسر » في كتابه « المبادىء الأولية » : الإيمان بقوى لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية : هو العنصر الرئيسي في الدين »[2] .

أما « وليم جيمس » صاحب كتاب إرادة الاعتقاد فيتوسع في معنى كلمة « دين » بقوله : دلت كلمة الدين في تاريخ

---

(١) و (٢) كتاب بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. : د . عبد الله دراز .

الفكر الإنساني على كثير من المعاني ، ولكني حين أستعملها الآن أقصد بها ما هو فوق الطبيعة مقرراً بذلك أن ما يدعى بنظام الطبيعة الذي يتضمن عالم التجربة ليس إلا جزءاً من مجموعة الكون ، وأن هناك وراء هذا العالم المشاهد عالماً آخر غير مشاهد . لا نعرف الآن عنه شيئاً إيجابياً ولكنا ندرك أنه ليس لحياتنا هذه من قيمة إلا في علاقتها وارتباطها به ، وليس للعقيدة الدينية عندي من معنى « مهما يكن شأن ما تضمنته من تفاصيل إلا الاعتقاد في وجود نظام خفي غير مشاهد يمكن أن توجد فيه حلول لطلاسم ذلك النظام الطبيعي . وترى الأديان العليا أن هذه الدار ليست إلا مدخلاً وطريقاً لعالم آخر أكثر منها حقة وأدوم بقاء »[1] .

إن « وليم جيمس » يقرر أن الأديان السماوية فيها الإجابة على أسئلة البشرية ، وفيها حل الطلاسم والألغاز التي تعترض حياتنـــا :

الأديان السماوية هي التي تستطيع أن تقرر وتقول : من أين وإلى أين .. ومن أجل ذلك وعلى وجه التحديد في القرن السابع عشر قام « سبينوزا Spinoza ١٦٣١ – ١٦٧٧ » وليبنيز Leibniz ١٦٤٦ – ١٧١٦ م » . ولوك Locke « ١٦٣٢ – ١٧٦٤ م » .

---

(١) إرادة الاعتقاد : وليم جيمس – ترجمة الدكتور محمود حب الله .

وأراد ثلاثتهم أن يجمعوا الطوائف المسيحية في أوربا الغربية من طوائف الكاثوليك وأتباع لوثر ، والمصلحين للاتفاق على معنى الدين ومعرفة أساسه : وكان مما توصلوا إليه هو : أن الدين هو الإيمان الكامل بالوحي الإلهي » .

وعرفوا الوحي الإلهي بأنه : ما كان فوق العقل البشري . « ولكن ينسجم مع العقل. أي أن الذي يعتبر أن يكون وحياً هو ما لا يستطيع العقل أن يجده من نفسه ولكن مع ذلك يمكن أن يفهمه في وفاق وانسجام مع تفكيره الصحيح »[1] .

ونتساءل : أكل الناس يؤمنون بالدين ويعترفون به .. ؟ حتى ولو لم يطبقوه على حياتهم : وينفذوه في سلوكياتهم ؟ ..

إن هناك أفراداً من البشرية تتنكر للدين جملة ، وترفض الوحي من أساسه وتحلل الديانات تعليلاً لا يتفق مع العقل ، ولا يتوافق مع الواقع . ومن هؤلاء السوفسطائيون الذين يقولون :

« إن الإنسان كان في أول نشأته يعيش بغير رادع من قانون ولا وازع من خلق ؛ وأنه كان لا يخضع إلا للقوة الباطشة .

فإذا تركنا عصر السوفسطائيين وذهبنا إلى عصر التنوير كما كان يسمى في أوربا نجد « فولتير » يقول :

« إن الإنسانية لا بد أن تكون قد عاشت قروناً متطاولة في

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.— د . محمد البهي .

حياة مادية خالصة قوامها الحرث والنحت والبناء والحدادة ، والتجارة ، قبل أن تفكر في مسائل الديانات والروحانيات » .

« بل إن فكرة التأليه إنما اخترعها دعاة ماكرون من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء »[1] .

ولكن معجم « لاروس » للقرن العشرين يرى أن التدين فطرة ونزعة في داخل النفس لا يمكن الفكاك منها .

ونص عبارة المعجم : «إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية ، وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية » .

ويقول أيضاً : «إن هذه الغريزة لا تختفي بل لا تضعف ولا تذبل إلا في فترات الإسراف في الحضارة وعند عدد قليل جداً من الأفراد »[2] .

.. فإذا أردنا أن نتعرف على رأي عالم مثل « فرويد »[3] نراه أطلق أسطورته الكريهة المبنية على العشق الجنسي الذي يحسه الأولاد نحو الأم .

وعن طريق هذه الأسطورة يبنى جذور الديانات التي

---

(١) و (٢) كتاب بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د . عبد الله دراز .
(٣) ولد سيجمند فرويد عام ١٨٥٦ م من أبوين يهوديين وحصل على الدكتوراه في الطب عام ١٨٨١ م .

عرفتها البشرية في تاريخها الطويل ؟؟

تقول الأسطورة :

« ذات يوم في الماضي السحيق الموغل في الظلمات ارتكبت البشرية جريمة مروعة وهي : أن الأولاد أحسوا برغبة جنسية نحو أمهم ، ولكنهم وجدوا أباهم حائلاً دون الوصول إلى هذه الشهوة ، فقرروا أن يقتلوا أباهم ليخلو لهم الطريق وبالفعل قتلوه.

وما أن أتموا فعلتهم الشنيعة حتى أحسوا بالندم على ما قدمت أيديهم فأقسموا ليقدسن ذكراه ، فعبدوه ونشأت بذلك أول عبادة في الأرض عبادة الأب التي تحولت إلى عبادة الطوطم ، وهو حيوان تعبده القبيلة كلها وتعتقد أن دماءه تجري في دمائها ، ويحرمون ذبحه إلا في مناسبات دينية خاصة حيث يحتفل بذبحه ، ويأكل منه الجميع لتجري دماؤه في دمائهم من جديد .

ثم وجدوا أنهم سيتقاتلون فيما بينهم على أمهم فلا ينالها أحد منهم فحرموها عليهم جميعاً .

وكل الديانات التي جاءت بعد ذلك هي محاولات لحل المشكلة ذاتها ، مشكلة إحساس الأبناء بالجريمة . وهي تختلف بحسب مستوى الحضارة التي ظهرت فيها والوسائل التي تطبقها ، ولكنها جميعاً تهدف إلى شيء واحد وهو رد الفعل لنفس

الحدث العظيم « قتل الأب »[1] .

.. وقد نسي « فرويد » أو تناسى أن الدين كان موجوداً من أيام المشايعة الأولى ؛ ومن قبل أن يوجد التحريم بين الأم وابنها ، ومن قبل أن تظهر العقدة « الأوديبية » على الإطلاق .

ونتساءل من أين جاء « فرويد » بأسطورته تلك .. ؟

أعن طريق الحفريات والبحث الجيولوجي في باطن الأرض .. ؟

أم عن طريق الغوص في باطن التاريخ المنقوش في الحفريات وعلى أعمدة المعابد .. ؟

أم ترى تلقفه من أفواه المهوسين والمهوسات ، والشاذين والشاذات ممن كانوا يأتون إليه في معمله .. ؟

إنه يقرر في كتابه Totematoboo أنه أخذ هذه الأسطورة من مثال أورده «دارون» من عالم البقر ، ففي عالم البقر تهيج الثيران في موسم الإخصاب فتقتل أباها الكبير ، ثم تقتتل فيما بينها على الأم كل يريد أن يفوز بها لنفسه فتموت الثيران الضعيفة ، أو تخور قواها مما تنزف من الدم ويبقى الثور الأقوى يفوز وحده بالأم ويلبي معها داعي الجنس »[2] .

---

(١) دراسات في النفس الإنسانية — محمد قطب وكتاب الشيوعية والإسلام ، د . مصطفى محمود .

(٢) كتاب الإنسان بين المادية والإسلام — محمد قطب .

وفرويد في بساطة وبلا تحرج ولا تأثم ولا تأنيب ضمير ينقل هذه الظاهرة الحيوانية إلى عالم الإنسان . وينسبها إلى البشرية الأولى . كأنما قد شهد مولدها ، وعاين تحركها . وسجل ما جرى لها من الأحداث ، ويغفل في بساطة وبلا تحرج ولا تأثيم ولا تأنيب ضمير أن بعض الحيوانات ذاتها يأبى الولد منها أن يطأ أمه ، ولو دفع إلى ذلك دفعاً ، وعوقب على الامتناع بالضرب الأليم ولكنه « فرويد » اليهودي المتعصب ..؟؟

ليس هذا فقط ولكنه التلميذ المخلص لـ « داروين »[1] .

« داروين » الذي يقول بصراحة : إن ذلك — أي تفسير شئون الحياة بوجود خالق له إرادة في الخلق — يكون بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت »[2] .

وليس هنا مجال الرد على « داروين » فسنفرد له بمشيئة الله بحثاً خاصاً وإذا كان هذا ما يقوله « داروين » ..

فإن « الفيلسوف هنري برجسون » يدفـع ما يدعيه هذا الملحـد بقوله : « لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة »[3] .

---

(١) داروين : ولد في إحدى مقاطعات ويلز في بريطانيا عام ١٨٠٩ ، ودرس اللاهوت والتاريخ الطبيعي من مؤلفاته كتاب : أصل الأنواع .

(٢) مجلة تراث الإنسانية جـ ١ .

(٣) كتاب ارادة الاعتقاد — هنري برجسون .

بل إن البشرية في تاريخها الطويل الممتد في القدم وجد فيها الواحد بعد الواحد الذي اهتدى إلى التوحيد الخالص ، وساير فطرة الله التي فطر الناس عليها : وفي التاريخ اليوناني القديم كان « اكزنوفنس » يسخر من آلهة قومه التي تأكل وتشرب وتلد وتموت ويقول :

« إن الناس هم الذين اخترعوا الآلهة وتصوروها بمثل هيئاتهم ، ولو كانت الثيران أو الأسود أو الجياد تعرف التصوير لرسمت لنا الآلهة على أشكالها ثوراً أو أسداً أو جواداً كلا . ثم كـــلا .

إنه لا يوجد غير إله واحد ، هو أرفع الموجودات ، ليس مركباً على هيئتنا ولا يفكر مثل تفكيرنا بل كله بصر ، وكله سمع ، وكله فكر »(١) .

وهذا الذي قاله « اكزنوفنس » قاله آحاد غيره قبل مبعث الرسالات والرسل .

قاله رجال من فارس قبل أن ينحرفوا إلى القول بالتثنية .

وقاله رجال من الهند قبل اتجاههم إلى السلبية .

واهتدى إليه (أخناتون) في مصر القديمة . فقد ذكر أنه قال بالتوحيد وآمن بالبعث والنشر ، ومع ذلك أخذت البشرية

---

(١) قصة الايمان . بين الدين والعلم والفلسفة — للشيخ نديم الجسر .

تتخبط وتتوه في ركام من الضلالات حتى جاءت الرسالات السماوية فحددت للبشرية طريقها ، وخططت لها حياتها .
وكان كل نبي يأتي إلى قومه بعد فترة ليذكرهم إن نسوا ويوجههم كلما ضلوا ، ثم كان خاتم الرسل وخاتمة الرسالات ، ووضع الله فيها كل ما تحتاج إليه البشرية في حالها ومآلها ، ولكن البشرية — إلا من عصم ربي — جعلت الديانات وراءها ظهرياً ، وأخذت في تأليه العلم تارة ، والاحتكام إلى العقل أخرى ، فما أغنيا عنها شيئاً ، ولم يقدرا على انقاذها من شقوتها أو ينتشلانها من وهدتها ، وليس هذا انتقاصاً من شأن العلم ، أو تهويناً من مهمة العقل ، ولكن العلم — كما قلنا — يوصل إلى بعض الحقائق لا إلى كل الحقائق ، فالعلم المادي حالياً يقدم لنا ما يحدث ولكنه لا يفسر لنا كثيراً مما يحدث ... ؟؟

إن في مقدور العلم أن يجيب عن ما هذا .. ؟

ولكن ليس في مقدوره الإجابة عن لماذا .. ؟

والعقل أيضاً دائرة اختصاصه محدودة ، وقدرته على كشف حقائق الوجود لا تتعدى قدراً محدوداً ولا يقدح هذا مطلقاً في سلامة العقل ، لأن العقل ميزان صحيح وأحكامه في كثير من الأوقات يقينية ، وخصوصاً في عالم الرياضيات غير أننا لا نطمع أن نزن به أموراً فوق طاقته .

من ذلك الغيبيات فإن ذلك طمع في محال . فإن فعلنا ذلك كنا كالرجل الذي رأى ميزاناً يوزن به الذهب فطمع أن يزن

به الجبال ، وهذا لا يدل على أن الميزان غير صادق في أحكامه . ولكن يدل فقط على مدى إمكانياته ، وقدرته على استيعاب الأشيـــاء .

الدين إذن هو الذي يجيب على تلك المعميات ، ويحل تلك الطلاسم التي تأخذ بعقول البشر .

لقد عاشت البشرية ردحاً من الزمن وهي تفتش عن الخالق لهذا الكون لتتوجه إليه بالعبادة وتخصه بالنسك ، ولكنها تاهت وضلت فتصورته مرة رعداً وبرقاً وأخرى صنماً وحجراً وثالثة شجراً وكوكباً . فلما جاءت الرسالات السماوية وضعت حداً لهذه الاضطرابات وأرشدت البشرية إلى الخالق المالك ، الموجد المبدع يقول تعالى :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » (١) .

وكما اختلفت البشرية في تصورها للاله ، تناكرت أيضاً في تصورها لأصل الخلقة وحقيقة الإنسان أوجد عن طريـــق الصدفة .. ؟

أم صنعته الطبيعة .. ؟

أم كان نتيجة تطور كائن آخر .. ؟

فأجاب الإسلام عن هذه التساؤلات ورد البشرية إلى طريق

---

(١) سورة الاخلاص .

الصواب بقول الله تعالى :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين »[1] .

وهذا الكائن لم يخلق عبثاً وإنما وجد لغاية ، وخلق لهدف : وهو عبادة الله تعالى :

« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »[2] .

وأيضاً عمارة الكون قال تعالى :

« وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها »[3] .

والقيام بدور الخلافة قال تعالى :

« إني جاعل في الأرض خليفة »[4] .

وحياته رحلة قصيرة ، وأيامه معدودة فوق هذا الكوكب الأرضي وأجزاء الإنسان وتركيباته وأطرافه صنعت لتلائم هذا الدور وتتناسب مع تلك المدة ، فهو لا يبقى في رحلته أكثر مما

---

(١) سورة المؤمنون الآيات : من ١٢ — ١٤ .
(٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .
(٣) سورة الملك آية رقم ١٥ .
(٤) سورة البقرة آية رقم ٣٠ .

قدر له ، وإلا تلفت أعضاؤه ، وفسدت خلاياه فلا تستطيع القيام بدور أو المشاركة في حياة ، ولا يكلف هذا الإنسان أكثر مما يطيق ، ولا يعطى من المعرفة فوق ما تحتاجه هذه الرحلة ؛ وإلا اختلطت عليه الأشياء وتعددت أمامه السبل .

وهذا الكون أيضاً مخلوق ليتناسب وقدراته ويتلاءم مع مواهبه فلا يرهق من أمره عسراً .

وكل شيء محدود ومقدر ، ليس للصدفة مكان ولا للرأي العجل موضع .. قال تعالى :

« إنا كل شيء خلقناه بقدر »(1) .

وقال أيضاً :

« وكل شيء عنده بمقدار »(2) .

وهذا الإنسان الفاني الضعيف يستطيع أن يتصل بالقوة الكبرى ، قوة الله يتصل بلا وساطة أو كهانة أو قطع رحلة من آلاف الأميال .

قال تعالى :

« ادعوني أستجب لكم »(3) .

---

(1) سورة القمر آية رقم ٤٩ .
(2) سورة الرعد آية رقم ٨ .
(3) سورة غافر آية رقم ٦٠ .

لأنه قريب من عباده ، أقرب مما يتصورون . يقول تعالى :

« وإذا سألك عبادي عني فإني قريب »[1] .

وكل إنسان يأخذ حقه كاملاً لا ينقص منه شيء ، وحياته ليست بقاؤه على ظهر الأرض فقط ، وليست هي الرحلة القصيرة المحدودة ، ولكن هناك حياة باقية بعد هذه الحياة الفانية . فما نقص هنا أدخر له هناك ، وما حرم منه في الدنيا يضاعف له في الدار الآخرة ، وإذا كان ذلك كذلك ، فما الداعي إلى القلق الذي يمزق الإنسان في داخله ، أو الحسرة على ما فات ، أو التألم على ما حرم منه .. ؟

وهل استطاعت البشرية بما اخترعت من مبادىء وأفكار أن توجد الرضا في داخل النفس .. ؟ إن الواقع المشاهد ينفي ذلك . ويقرر أنها أوجدت التكالب والصراعات والحروب المدمرة .. ؟؟

لأنها لم تستطع أن تسوي بين الأفراد جميعاً ولن تستطيع .

والمذاهب المادية على ما بذلته من وعود ، وما سودته من قرارات لم تستطع أيضاً أن تزيل الدمامة عن مشوه الصورة . أو تعوض الإنسان فقد عضو واحد من أعضائه .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

ولم تستطع بالرغم من تقدمها في المجال المادي أن تجعل من ضعف النظر قوة ومن قصر القامة طولاً ، أو من العقـــم إخصاباً ؛ أو أن تتحكم في نوع الإنجاب ولكن الدين وإن لم يفعل ذلك فهو يقدم البديل لذلك كله .

إنه يقدم الاطمئنان إلى عدل السماء ، وحكمة الخالق .

يقول الله تعالى : « وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم » .

« وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » [1] .

ومع ذلك فنصيبه مدخر ؛ وأجره محفوظ ؛ وقد لا تنكشف لنا حكمة الله وعدله عما قريب فعلينا أن نترصد لها .

وحكمة الله مبذولة لخلقه ؛ وتعطى لمن يصطفى من عباده قال تعالى :

« يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » [2] .

وإلهامات الله لا تقف عند حد ولا تنتهي عند عصر ، ولا يختص بها جيل من الأجيال .

يقول الرسول ﷺ :

« إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢١٦ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٩ .

وكل إنسان يمكن أن يكون قريباً من ربه ، ووسيلة القرب معروفة : يقول الرسول – ﷺ – :

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » .

ويقول الله تعالى : « واسجد واقترب »[1] .

عندها ينتقل الإنسان من ترابية الأرض إلى شفافية السماء .

ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .

ومن قتامة الأفكار إلى صفاء الإيمان .

فيعرف ما لم يكن يعرف . ويدرك ما لم يكن يدرك . والموت ليس لغزاً وليس طلسماً ، ولكنه مرحلة في الطريق ، ونقلة من دار إلى دار ، وسياحة فريدة من رحاب الكون المحدود إلى رحاب الخالق الذي لا يحد .

وإذا كان ذلك كذلك .. فما هي الوسائل .. وما المطية التي يمتطيها العبد ليصل إلى ربه ويقترب من مولاه .. ؟

للاجابة على ذلك علينا أن نقطع شوطاً آخر في المنهج وعلى الله قصد السبيل .

---

(١) سورة العلق آية رقم ١٩

مَعَ انبيَاء الله وَرسُله مِن بَدء الخَليقَة .

أريد أن أصحب القارىء معي إلى رحلة متأنية إلى الزمن البعيد حيث بدء الخليقة .. ونتساءل سوياً :

متى خلق آدم عليه السلام .. ؟

وكيف استقبلت الخلائق قبله خبر إيجاده ؟ ..

وهل في مقدورنا أن نحدد الزمن والتاريخ لهذا الحدث الجليل .. ؟

إن أوثق المصادر التي بين أيدينا تقول : إن الله سبحانه وتعالى أراد أن يوجد خليفة في الأرض من جنس البشر : فبهتت الملائكة لهذا الخبر . وقالوا لربهم :

« أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك [1] .. ؟

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٣٠ .

قال الله تعالى : « إني أعلم ما لا تعلمون »[1] .

ونقول : أتلك طبيعة البشر كما عبرت عنها الملائكة : الإفساد ، والقتل .

وإذا كان ذلك كذلك فلماذا وجد ؟ ..

أوجد لهذه الغاية .. غاية تدمير الكون وإشاعة الفحشاء ، في كل جوانبه ، وإذا لم يكن كذلك فلماذا وصفت الملائكة الإنسان بهذه الصفة ؟ .. أتكون لجبلته الترابية أثر في هذه الطبيعة . ؟

ولكن الله سبحانه وتعالى يقول للملائكة : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي »[2] .

إذن هذا المخلوق فيه من روح الله .

وما دام الأمر كذلك ففيه الهدى والضلال . فيه الإفساد والإصلاح ، فيه طبيعة القتل وروح الإحياء .

والله سبحانه وتعالى يعلم ذلك .. فكان لا بد للبشرية من موجه ومرشد يوجهها فلا تضل ويرشدها فلا تنحرف .

وأخذت الرسالات تترى ورسل الله يتعاقبون الواحد تلو

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٣٠ .

(٢) سورة الحجر آية رقم ٢٩ .

الآخر كلها تدعو إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها ألا وهي الإسلام .

نوح عليه السلام يقرر ذلك ويدعو قومه إلى الاقرار بكلمة التوحيد والدخول في دين الله ويؤكد لهم أمر ربه بذلك .

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

« يا قوم إن كان كَبُرَ عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون . فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين »[1]

لقد أمره أن يكون من المسلمين .

فماذا كان منه .. ؟

لقد صدع بالأمر ونفذ ما أمر به ربه . وأخذ يدعو قومه إليه ...

دعاهم إلى الإسلام .

إلى دين الفطرة دين الله .

ونهاهم عن عبادة الأصنام

فماذا كان من أمر قومه وكيف استقبلوا دعوة نبيهم .. ؟

إن القرآن الكريم يحدثنا عن قوم نوح عليه السلام بأنهم

---

(١) سورة يونس آية رقم ٧٢ .

رفضوا دعوته ولم يستجيبوا لأمر ربهم .

وقال بعضهم لبعض كما عبر القرآن الكريم :

« لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ، وقد أضلوا كثيراً » (١) .

فهاجر نوح إلى ربه وفر إلى مولاه وقال له :

« رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ثم إني دعوتهم جهاراً ، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً » (٢)

إن نوحاً عليه السلام لا يمل ولا يفتر من دعوة قومه .
ولكن قومه يفرون منه .

يفرون من الداعي إلى الله ، مصدر الوجود والحياة ؛ ومصدر النعم والآلاء ومصدر الهدى والنور .

والداعية لا يطلب أجراً على السماع ولا ضريبة على الاهتداء .

فماذا كانت نتيجة عصيانهم .. ؟

جاء الطوفان ليغرق الأخضر واليابس

---

(١) سورة نوح آية رقم ٢٣ — ٢٤ .
(٢) سورة نوح آية رقم ٥ — ٩ .

جاء الطوفان فطهر الأرض من الشرك والكفر .

وحطم الأصنام .

وأغرق البهتان .

واكتسح الكفر وأهله .

وعادت البشرية إلى إسلام الوجه لله . عادت إلى نور الإيمان إلى كلمة لا إله إلا الله .

هل استمر ذلك طويلاً .. ؟

كم عدد السنين والحقب عاشتها البشرية مسلمة وجهها لله .. ؟

أكانت فترة طويلة .. ؟

إذا كان ذلك كذلك كيف بدأ الانحراف .. ؟

ومتى عادت البشرية إلى اتباع الهوى .. ؟

لا أحد يدري ..

وجاء هود عليه الصلاة والسلام داعياً إلى ربه داعياً إلى دين الفطرة . داعياً إلى الإسلام مرشداً إلى نور التوحيد .

« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون » (١) .

إنها دعوة التوحيد .

دعوة الرسل جميعاً .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ٦٥ .

دعوة لتخليص البشرية مما تردت فيه .

ولكن قوم عاد استمروا في ضلالهم وعكفوا على أصنامهم وأصموا آذانهم ورفضوا دعوة الإخلاص .

إنهم المتكبرون في الأرض .

وأصحاب المصلحة فيها .

أصحاب الجاه والسلطان

إنهم أعداء كل الرسل وكل الأنبياء ، ووقفوا موقف التحدي من دعوة هود عليه السلام .

وتمسكوا بأهوائهم .

وتحصنوا بجهلهم .

واعتقدوا أنهم في مأمن مما يخوفهم به هود ، وقالوا كلمتهم : «فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين»[1] .

أين عذاب ربك يا هود .. ؟

أين نيرانه ولهيبه .. ؟

أين خسفه ونسفه .. ؟

وكان لا بد من تعجيل العقوبة وتطهير الأرض من الشرك والرجس لأنها أعدت لتكون مقراً لخليفة الله فمحال أن تكون لغير ذلك .

---

(١) الأعراف آية رقم ٧٠ .

وكانت العاصفة التي دمرت كل شيء ولم تبق على شيء .

ويصور القرآن الكريم هلاك قوم عاد ، يصور مصرع الشرك والكفر قائلاً : « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية » ؟ [1] .

كانت عاصفة ، وكانت ريحاً عاتية .

اكتسحت الشرك من الأرض .

وأهوت بالأصنام .

وعصفت بالبهتان .

واكتسحت الكفر وأهله .

وعادت البشرية إلى إسلام الوجه لله ، عادت إلى نور الإيمان إلى كلمة لا إله إلا الله .

هل استمر ذلك طويلاً .. ؟

كم من السنين والحقب عاشتها البشرية مسلمة وجهها لله .. ؟

أكانت فترة طويلة .. ؟

إذا كان ذلك كذلك فكيف بدأ الانحراف .. ؟

ومتى عادت البشرية مرة أخرى إلى اتباع الهوى .. ؟

لا أحد يدري ..

وجاء صالح عليه الصلاة والسلام إلى قوم ثمود .

---

(١) الحاقة آية رقم ٦ — ٨ .

جاءهم بالفطرة والدعوة إلى التوحيد .

وأمرهم بالإسلام : « إن الدين عند الله الإسلام »[1] .

والإسلام : إسلام القلب لله وإسلام الجوارح له وإسلام الكيان الإنساني كله . إنه التسليم الكامل لخالق الأرض والسماء وموجد الحياة والموت .

« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »[2] .

هكذا خاطب صالح قومه وتلك كانت دعوته .

واستجاب له بعض المؤمنين ، وتابعه بعض المخلصين .

وانقسم المجتمع إلى فريقين ، فريق الإيمان وفريق الكفر .

فريق الذين يؤمنون بالغيب . وفريق الجاحدين بكل رسالات السماء وأخذت حلقات المجادلة تتسع .

وخاف الأباطرة على أنفسهم أن يذهب جاهها ، وعلى مصالحهم أن تكسد بعد رواج ، وخافوا على نفوذهم ، وركبوا رؤوسهم وقالوا للمؤمنين بصالح المستجيبين لدعوته (أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه »[3] .. ؟ .

أبعث الله بشراً رسولا .. ؟

ويرد المخلصون المؤمنون : « إنا بما أرسل به مؤمنون »[4] .

---

(١) سورة آل عمران ١٩ .

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٥٩ .

(٣) سورة الأعراف آية رقم ٧٥ .

(٤) سورة الأعراف آية رقم ٧٥ .

إن كل الشواهد الصادقة تدل على أنه رسول من ربه : وما يدعو اليه هو من هدى الله .

إنه يدعو إلى الايمان وينهي عن الكفر ، يدعو إلى الفضيلة ويترك الرذيلة ،

ويدعو إلى الصدق والخير والعفة ، وينهي عن الكذب والشر والفجور ،

يدعو إلى عبادة الواحد الأحد ، وينهي عن عبادة بشر أو حجر . ولكنهم يرفضون ذلك كله ويقولون : « إنا بالذي آمنتم به كافرون »[1] كفروا بربهم وركبوا عقولهم ، وعقروا الناقة — آية الله لنبيهم — وعتوا عن أمر ربهم ، ووقفوا موقف التحدي وقالوا : — « يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين »[2] .

« وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين »[3] .

« إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر »[4]

إنها صيحة البعث ، صيحة الإيمان ، صيحة التوحيد ، إنها

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ٧٦ .
(٢) سورة الأعراف آية رقم ٧٧ .
(٣) سورة هود آية رقم ٦٧ .
(٤) سورة القمر آية رقم ٣١ .

صيحة القوة . اقتلعت الشرك ، وطوحت بالأصنام ، وأبادت البهتان ، وخسفت بالكفر وأهله .

وأعادت البشرية إلى إسلام الوجه لله . عادت إلى نور الإيمان : إلى كلمة لا إله إلا الله .

هل استمر ذلك طويلاً ؟ كم من السنين والحقب عاشتها البشرية مسلمة وجهها لله .. ؟ أكانت فترة طويلة .. ؟ إذا كان ذلك كذلك كيف بدأ الانحراف .. ؟ ومتى عادت البشرية إلى اتباع الهوى .. ؟

لا أحد يدري ...

ثم كان إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام جاء يدعو قومه إلى الإسلام وترك الأصنام والاتجاه إلى الله الواحد الأحد .

لقد كانوا يعبدون الأصنام « قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين »(١) .

ورد عليهم أبو الأنبياء قائلاً : « هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون »(٢) ، وعبدوا الأفراد وألهوا الملوك وخضعوا للأباطرة .

يقول الله تعالى مصوراً حالهم : « ألم تر إلى الذي حاجّ ابراهيم في ربه أن أتاه الله الملك : إذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ٧١ .

(٢) سورة الشعراء آية رقم ٧٣ .

ويميت قال : أنا أحي وأميت قال ابراهيم : فان الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين »[1] .

وعبدوا النجوم والكواكب ، وألهوا الشمس والقمر .

يقول الله تعالى : «لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون »[2] .

ويصدع ابراهيم بحقيقة موقفه من ذلك كله قائلاً : « يا قوم إني بريء مما تشركون ، اني وجهت وجهي للذي فطـر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين »[3] .

ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة مبيناً دعوة ابراهيم بقوله :

« ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين »[4] .

لقد تبرأ ابراهيم من الشرك ، وتبرأ من عبادة الأصنام ، وتبرأ من عبادة الكواكب ، وسخر من تأليه الأفراد ،

وتمسك بالحنيفية السمحاء ، تمسك بالإسلام ، وتمناه لذريته

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٨ .
(٢) سورة فصلت آية رقم ٣٧ .
(٣) سورة الأنعام آية رقم ٧٩ .
(٤) سورة آل عمران آية رقم ٦٧ .

ورجاه لأحفاده من بعده ، وتضرع إلى الله في صدق واخلاص أن يبعث من ذريته المسلمة رسول الإسلام محمداً ﷺ .

يقول الله تعالى : « وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمَين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون » (١) .

ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى للمؤمنين أتباع محمد ﷺ « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٢٧ - ١٣٢ .

عليكم وتكونوا شهداء على الناس »[1] .

هل استجاب له قومه ؟

هل أجابوا داعي الله ؟

أدخلوا في دين الإسلام ؟

أتركوا هذا الزيف المتراكم من عبادة الأصنام والشجر والحجر ؟ .

أتركوا تأليه الكواكب والنجوم ؟

إن القرآن ينفي كل ذلك ويقرر أنهم أرادوا كيداً لابراهيم .

أرادوا الكيد به ، ورغبوا في تحريقه بالنار .

أرادوه عبرة لكل الداعين إلى كلمة حق .

ولكن إرادة الله في النهاية هي النافذة : « ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا[2] » .

وصدر الأمر الالهي بنجاة ابراهيم .

« قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم »[3] .

واستجابت النار لأمر ربها فلم يمس ابراهيم بسوء .

وتحولت النار على الأعداء إلى شواظ محرقة ، واشتعلت

---

(١) سورة الحج آية ٧٧ – ٧٨ .

(٢) سورة يونس آية رقم ١٠٣ .

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ٦٩ .

باللهب المستعر . فتطهرت الأرض من الشرك ، وتحطمت الأصنام ، واحترق البهتان . وتلاشى الكفر وأهله ، وعادت البشرية إلى اسلام الوجه لله .

عادت إلى نور الإيمان إلى كلمة لا إله إلا الله . هل استمر ذلك طويلاً ؟

إذا كان ذلك كذلك كيف بدأ الانحراف ..؟

ومتى عادت البشرية إلى اتباع الهوى .. ؟ لا أحـد يدري ..

وإذا كان الإسلام هو اسلام الوجه لله واخلاص القلب والجوارح له . وعبادة الواحد الأحد وتفويض الأمر كله اليـه .

فيوسف عليه السلام كان مسلماً ويقرر ذلك ويتمنى من ربه أن يتوفاه وهو على الإسلام .

يقول الله تعالى على لسان يوسف :

« رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين » (١) والحواريون أصحاب عيسى عليه السلام يقرون باسلامهم ويطلبون من نبيهم أن يشهد باسلامهم .

---

(١) سورة يوسف آية ١٠١ .

قال تعالى : « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله . قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون »[1] وسحرة فرعون يحاجونه ويجادلونه في إفكه وكفره ، ويتساءلون لماذا ينقم عليهم فرعون ويهددهم بالقتل والصلب .

انهم لم يرتكبوا إثماً ولم يأتوا بجريرة .

لكنهم أسلموا الوجه لله . انهم مسلمون

وكل ما يرجونه من ربهم أن يتوفاهم على هذه الصفة لا يفتنهم عذاب فرعون أو جبروت أتباعه .

يقول الله تعالى مصوراً حالهم :

« إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين »[2] .

فالاسلام إذن هو دعوة نوح عليه السلام ودين إبراهيم الخليل ومطلب إسماعيل الذبيح ، والحقيقة التي يموت عليها أبناء يعقوب .

والفكرة التي يتقبل الموت من أجلها أتباع موسى ويرفضون الحياة وزخرفها عند فقدها .

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٢٦ .

وإذا كان الإسلام هو القاسم المشترك بين أنبياء الله ورسله جميعاً فان الدعوة إلى الله ، الدعوة إلى عبادة الواحد الأحد . الدعوة إلى التوحيد الخالص هي الفكرة الأساسية في كل دين .

يقول الله تعالى – مخاطباً الرسول الكريم محمداً ﷺ – : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (١) .

ومن هذا المنطلق نرى نوحاً عليه السلام يقول لقومه :

« يا قوم إني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون » (٢) .

وهود عليه السلام يدعو قومه للتوحيد :

قال تعالى : « وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون » (٣) .

ويقرر قومه – قوم هود – حقيقة دعوته بقولهم :

« قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين » (٤) .

---

(١) من سورة الأنبياء آية رقم ٢٥ .
(٢) سورة نوح آية رقم ٢ – ٣ .
(٣) الأعراف آية رقم ٦٥ .
(٤) الأعراف آية رقم ٧٠ .

وسيدنا صالح عليه السلام دعا قومه إلى التوحيد قال تعالى :

وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره [1] .

وسيدنا شعيب يقول – أيضاً – كذلك :

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين [2] .

ولوطاً ويوسف وإسماعيل وإبراهيم وإدريس وكل الأنبياء كانوا يدعون إلى شهادة التوحيد .

والله سبحانه وتعالى يقول مخاطباً موسى عليه السلام : « إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري » [3] .

وعندما هم قوم فرعون بقتل موسى انبرى لهم أحد الصالحين بقوله :

أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فان يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض

(١) الأعراف آية رقم ٧٣ .
(٢) الأعراف آية رقم ٨٥ .
(٣) سورة طه آية رقم ١٤ .

الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب [1] .

ويحكي القرآن الكريم قول عيسى عليه السلام : « وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم» [2] . ويقرر حقيقة موقفه من أول يوم تطأ قدمه الأرض قائلاً « إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً » [3] .

وعندما انحرفت المسيحية عن حقيقة التوحيد ونادت بالتثليث صدع القرآن بالقول الفصل في تلك القضية قائلاً :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم » [4] .

لقد أرادوا قتل عيسى . وعملوا على صلبه .

رغبوا في اخفاء نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره فلم يتمكنوا من ذلك وما كان في مقدورهم أن يفعلوا .

---

(١) من سورة غافر رقم ٢٨ .
(٢) سورة المائدة آية رقم ٧٢ .
(٣) سورة مريم آية رقم ٣٠ — ٣١ .
(٤) سورة المائدة آية رقم ٧٣ .

« وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم »[1] « بل رفعه الله »[2] .

وظهرت الحقيقة للعيون المبصرة . واستنارت البصائر في القلوب .

وصلب الشرك وأهله . وتلاشت الأصنام . وفقئت عين البهتان ، وعادت البشرية إلى إسلام الوجه لله . عادت إلى نور الإيمان إلى كلمة لا إله إلا الله .

هل استمر ذلك طويلاً ؟

كم من السنين والحقب عاشتها البشرية مسلمة وجهها لله ؟

أكانت فترة طويلة ؟

إذا كان ذلك كذلك فكيف بدأ الانحراف ؟ ومتى عادت البشرية إلى إتباع الهوى ؟ .

لا أحد يدري .

لقد كانت الجزيرة العربية بل المعمورة كلها تتخبط في عبادتها فعبدوا الملائكة والجن والكواكب ، «ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون..؟

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٥٧ .

(٢) سورة النساء آية رقم ١٥٨ .

قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » [1] بل كانوا يعتقدون أن للملائكة بنات الله فيتخذونهن شفعاء لهم ويعبدونهن من دون الله .

قال تعالى : « ألربك البنات ولهم البنون » [2] .

وعبدوا الجن واتخذوهم شركاء لله وآمنوا بقدرتهم وتأثيرهم. قال تعالى : بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون [3] ...

قال الكلبي صاحب كتاب الأصنام : « كانت بنو مليح من خزاعة إحدى قبائل العرب يعبدون الجن » .

وقال صاعد في كتابه طبقات الأمم : « كانت حمير تعبد الشمس وكنانة تعبد القمر وجزام تعبد المشتري وطيء تعبد سهيلاً وقبيلة أسد تعبد عطارد هذا بالاضافة إلى الأصنام التي كانت تنحت من الحجارة .

روى البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال : كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه وأخذنا بالآخر . فاذا لم نجد حجراً جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليها ثم طفنا به . وأما عن المسيحية فان أصحابها كفروا بعبادة الواحد الأحد واتخذوا آلهة ثلاثة نتيجة لتعاليم بولس الذي طمس

---

(١) سورة سبأ آية رقم ٤٠ – ٤١ .
(٢) سورة الصافات آية رقم ١٤٩ .
(٣) سورة سبأ آية رقم ٤١ .

نورها وطعمها بخرافات الجاهلية التي انتقل منها ، والوثنية التي نشأ عليها ، حتى وجدنا من يقول بأن المسيح ابن الله متابعين اليهودية التي قالت عُزير ابن الله .

يقول الله تعالى : وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ؟ أتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (١) .

وجاء محمد ﷺ . جاء بالهدى وبالحق كما عبر القرآن الكريم . جاء بلا إله إلا الله محمد رسول الله . جاء بالشهادة وتبدأ بالنفي . تبدأ بالرفض . إنها تنفي ألوهية الشمس والقمر لأنهما آيتان من خلق الله . وتنفى ألوهية النار عند الفرس لأنها تطفأ وتزول . وتنفي ألوهية الأصنام عند العرب لأنها لا تسمع ولا تعقل ولا تنفع ولا تضر . وتنفي تأليه الرسل لأنهم لا يملكون من

---

(١) سورة التوبة من ٣٠ – ٣٣ .

امرهم شيئاً . قال تعالى: ليس لك من الأمر شيء[1] وتنفي ألوهية المتجبرين في الأرض الطاغين فيها الظالمين لأبنائها كفرعون وهامان وغيرهما . وتنفي أن يكون الكون إلهان إله للظلمة وإله للنور أو إله للخير وإله للشر .

قال تعالى : «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»[2] . وتنفي ألوهية الطبيعة لأنها من صنع الله « إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً »[3] جاء بشهادة أن لا إله إلا الله ليقرر العبد أمام محكمة العدل الكبرى أنه لا إله غيره . إنه يرفض أن يكون له ولد أو بنت . يرفض البنوة في حق الله . يرفض دعوة التثليث . يرفض أن يكون الله بشراً سوياً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . يرفض أن يكون ضعيفاً في حاجة إلى قوي أو فقيراً في حاجة إلى غني « يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد »[4] .

إذا تحقق العبد بذلك . إذا شهد له بالوحدانية وأقر له بالصمدانية فلا معبود سواه ولا خالق غيره . إذا آمن بأنه (هو الأول والآخر والظاهر والباطن)[5] له مقاليد كل شيء .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٢٨ .
(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٢٢ .
(٣) سورة مريم آية رقم ٩٣ .
(٤) سورة فاطر آية رقم ١٥ .
(٥) سورة الحديد آية رقم ٣ .

«تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير »[1] .

إذا وصل العبد إلى هذا تهاوت أمامه كل الألوهية المزيفة من شجر أو حجر أو إنسان فيكون قريباً من ربه في حضرة مولاه. إذا دعاه أجابه وإذا طلبه وجده قريباً منه، «وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان »[2] .

ويشهد العبد بأن محمداً رسول الله .

يشهد بأنه يوحى إليه، قال تعالى : «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى »[3] .

وبأنه خاتم النبيين : قال تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »[4] .

وبأنه رسول للبشرية جميعاً أرسل إلى الناس كافة، قال تعالى :

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً »[5] .

إذا تحقق العبد بذلك .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٢٦ .
(٢) سورة البقرة آية رقم ١٨٦ .
(٣) سورة النجم آية رقم ٣ ، ٤ .
(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٤٠ .
(٥) سورة سبأ آية رقم ٢٨ .

إذا صدق بها قلبه .

إذا التزمت بها جوارحه . فلا بد من المبايعة : لا بد من الاقتداء . مبايعة الرسول في كل ما يأتي وما يدع ، والاقتداء به في كل شئون الحياة .

قال تعالى :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » [1] .

---

(١) سورة النساء آية رقم ٦٥ .

التزام المسلم تجاه كلمة التوحيد

قلنا بأن شهادة ألاَّ إله إلا الله رفض وإثبات .

رفض لكل الانحرافات التي تردت فيها البشرية في تاريخها الطويل .

وإثبات بأن الله واحد لا شريك له ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد .

وشهادة بأن محمداً ﷺ تصديق ومتابعة للرسول واقتداء به في كل ما يأتي وما يدع .

لا بد من الاقتداء به سلوكاً .

والاقتداء به قولاً .

والاقتداء به متابعة .

إن الإقرار بالشهادتين يدخل صاحبها في ساحة الإسلام .

والإسلام ليس قولاً باللسان فقط .

ولكنه قول . وتصديق . وعمل .

إن كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله . لا بد أن ينطق بها اللسان ويصدق بها القلب . وتلتزم بها الجوارح .

إن من يقر بأن الله واحد . لا يعرف معبوداً سواه ، ولا يخضع لأحد غيره . ولا يرجو النفع من مخلوق أياً كان هذا المخلوق . ملك أو رسول أو بشر .

فمن يساير أهواءه . وتغلبه شهواته فهو بعيد عن جو لا إله إلا الله .

يقول الله تعالى :

« أفرأيت من اتخذ إلهه هواه . وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون »[1] .

والذي يخضع لغيره ويذل نفسه في سبيل نفع يناله ، أو خير يأخذه ، هو بعيد عن جو لا إله إلا الله .

لأن المؤمن عزيز فلا يذل .

يقول الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله والمؤمنين »[2] .

والمؤمن مطمئن إلى عدل الله فلا يخاف .

---

(١) سورة الجاثية آية رقم ٢٣ .

(٢) سورة المنافقون آية رقم ٨ .

يقول الله تعالى : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » [1] .

والمؤمن قوي فلا يضعف .

يقول الله تعالى : « محمد رسول الله. والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود » [2] .

إنهم الرجال الذين تربوا في مدرسة الإسلام .

فكانوا كالصواعق المدمرة التي نزلت على رأس الكفر ، وكيف لا يكونوا كذلك ؟ وهم الذين استطاعوا في فترة وجيزة أن يقضوا على صناديد قريش وأئمة الكفر فيها .

قتل أبو جهل .

وقتل أمية بن خلف .

ومات أبو لهب كمداً .

وقتل عقبة بن أبي معيط صبراً بالسيف ، وغيرهم كثير ممن وقفوا في وجه الدعوة ، ونالوا من رجالها ، وحالوا دون إنتشارهــا .

ورحماء بينهم عاشوا إخوة متحابين .

نزع الله من قلوبهم الحقد والغل والحسد . حرب على من

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٨٢ .

(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٩ .

عاداهم ، يسعى بذمتهم أدناهم .. تتكافأ دماءهم .

آمنوا أن النفع والضر ، والاعطاء والمنع للواحد الأحد الفرد الصمد .

قال تعالى :

« قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير »[1] .

وقال تعالى :

« وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم »[2] .

والرسول ﷺ يقول لأحد الرجال من أصحابه :

« اقترب مني أعلمك كلمات :

احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن أهل الأرض جميعاً لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ما كتبه الله لك ما

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٢٧ .

(٢) سورة يونس آية رقم ١٠٧ .

استطاعوا أن يضروك ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء ما كتبه الله لك ما استطاعوا أن ينفعوك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف »[1] .

والخوف على الرزق والخوف على المكانة والخوف على المركز والخوف من أعباء المعيشة هو من وسوسة الشيطان ومن وعوده .

يقول الله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً »[2] .

أما أصحاب لا إله إلا الله فهم واثقون بوعد ربهم مطمئنون إلى عدله وحكمته .

يقول الله تعالى : « وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون »[3] .

ويقول الله تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها »[4] .

ويقول أيضاً « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم »[5] .

---

(١) رواه الترمذي في باب القيامة رقم ٥٩ .
(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٨ .
(٣) سورة الذاريات آية رقم ٢٣ .
(٤) سورة هود آية رقم ٦ .
(٥) سورة الأنعام آية رقم ١٥١ .

ويقول الله « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » [1] » .

والرسول ﷺ يقول :

(لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً) .

والخوف من الموت والخوف من قرب الأجل يبعد صاحبه عن حقيقة لا اله إلا الله .

لأن الله تعالى يقول : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) [2] .

ويقول أيضاً : (لكل أجل كتاب) [3] .

ويخاطب هؤلاء الجبناء الذين يفرون من الجهاد بقوله :
(قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم) [4] .

وأيضاً : (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) [5] والذي يفاضل بين الناس باعتبار قيمهم المادية أوقيمهم المعنوية ويجعل مقياس التفاضل في المجتمع الغنى والفقر أو

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٢٨ .
(٢) سورة التوبة آية رقم ٥١ .
(٣) سورة الرعد آية رقم ٣٨ .
(٤) سورة الجمعة آية رقم ٨ .
(٥) سورة النساء آية رقم ٧٨ .

الجاه والمنصب بعيد عن جو لا اله إلا الله .

لأن أساس المفاضلة في الإسلام إنما هو التقوى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) [1] .

لأن هذه الأشياء — الغنى والفقر والجاه والمنصب — عروض زائلة وزينة فانية ، وعارية مردودة .

أما الذي يبقى فلا يزول ويلازم صاحبه فلا يفارقه في حياته وبعد موته فهو التقوى ، يقول الله تعالى :

(وتزودوا فان خير الزاد التقوى) [2] .

والرسول ﷺ عندما اهتم بأصحاب الجاه الزائف والمناصب الزائلة رغبة منه وحرصاً على إيمانهم وأهمل الفقير المؤمن — ابن أم مكتوم — عاتبه ربه بقوله (عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكّى أو يذكر فتنفعه الذكرى) [3] .

وعندما عرض عليه أصحاب الغنى والمركز في مكة أن يجعل لهم يوماً يستمعون اليه فيه ويجعل لعبيدهم وخدمهم يوماً آخر ينزل القرآن بالقول الفصل في ذلك آمراً رسوله الكريم بالبقاء مع هؤلاء الفقراء والمكث مع هؤلاء العبيد .

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ١٣ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٩٧ .

(٣) سورة عبس آية رقم ١ — ٤ .

يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً)[1] .

وتمتلىء عين الرسول ﷺ بالدمع ويفرش رداءه لهؤلاء الفقراء ليجلسهم عليه ويقول لهم : (أهلاً بمن أوصاني بهم ربي خيراً) .

وترفض عروض أصحاب القيم الزائلة : أصحاب الجاه والسلطان ؛ وعندما قال الصحابي الجليـــل أبو ذر الغفاري لبلال في مجلس الرسول عليه السلام : (يا ابن السوداء) .

غضب الرسول ﷺ حتى ظهر الغضب في وجهه وقال : (ليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء إلا بالتقوى أو عمل صالح) .

وتتلاشى بشرية أبي ذر ويذهب غروره وكبرياؤه ويعود إلى جو لا إله إلا الله ويتمذهب بمذهب القرآن فيضع خده على الأرض ويقول : (يا أخي يا بلال ضع قدمك على خدي حتى تأخذ حقك مني وحتى يرضى رسول الله ﷺ) .

والعمل في جو لا إله إلا الله عبادة أياً كان هذا العمل ما دام المقصود به في النهاية هو وجه الله .

وقد عد القرآن الضرب في فجاج الأرض والكشف عن

---

(١) سورة الكهف آية رقم ٢٨ .

كنوزها والبحث عن الرزق وتعمير الكون ودراسة أسرار الفضاء . كل هذه الأشياء عدل للعبادة وقيام الليل .

قال تعالى : (والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن، علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه) (١) .

والعمل في جو لا إله إلا الله لن يكون إرضاء للضمير فحسب ، ولن يكون من أجل المصلحة العامة فقط ، لأن الضمير يختلف من فرد إلى فرد ومن بيئة إلى أخرى بل من ثقافة إلى ثقافة ثانية ، وهذا يجعل المجتمع الإسلامي أمشاجاً وتفاريق .

وجو لا إله إلا الله وأصحابها حريصون على الترابط والتعاون والألفـــة .

وأصحاب لا إله إلا الله يعلمون أن إرضاء الضمير ليس هدف المؤمن وانما هدفه أولاً وأخيراً هو إرضاء الله .

والمصلحة العامة يقولها كل انسان ويتمسح فيها بالحق وبالباطل وكل انسان يقيسها بمقياسه الشخصي ومنفعته الذاتية وهي مصلحة عامة إذا اتفقت مع مصالحه أما إذا اختلفت فهي باطل وهي فساد في نظره ولكي نخرج من هذه الذبذبة والميل مع

(١) سورة المزمل آية رقم ٢٠ .

الهوى فعلينا أن نزن العمل بالميزان الذي تحدده كلمة لا إله إلا الله فهو وحده الذي يعرفنا بالمصلحة العامة أو الصالح العام .

ونعود مرة أخرى إلى شهادة أن محمداً رسول الله .

وما دمنا نشهد بأنه رسول الله فلا بد من تحكيم أوامره ونواهيه التي هي أوامر الله ونواهيه في كل ما نأتي من أمر أو نسلك من طريق .

يقول الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » (١) .

ولأن القرآن يأمر المؤمنين باتباعه في الأمر والنهي .

يقول تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٢) .

وما دام ذلك كذلك . (من يطع الرسول فقد أطاع الله) .

والاقتداء به منهجاً ومتابعة : أن نتلمس طريقة حياته التي تعتبر مواد السلوك للفرد المسلم ، والدستور الخالد الذي يخرج صاحبه من عثرات الهوى وكبوات الضلال . والاقتداء به قولاً

---

(١) من سورة النساء آية رقم ٦٥ .

(٢) من سورة الحشر آية رقم ٧ .

أن ننظر في حديثه فنراه تناول حياة الفرد في الصغير منها والكبير ونظم سلوكه الأخلاقية بأوسع ما تضمنته كلمة أخلاق منذ أن يصبح إلى أن يمسي ، ومنذ ميلاده إلى أن تنتهي به الحياة . ثم ينظم شئون ميراثه إن كان له ميراث .

إنه ينظم سلوكه مع نفسه : يقول الرسول ﷺ لعمرة سفيان بن عبد الله الثقفي (قل آمنت بالله ثم استقم) .

وينظم سلوكه مع مجتمعه يقول الرسول ﷺ (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) .

وينظم سلوكه مع ربه ، ويمكن العبد الفاني الضعيف من الاتصال بخالقه والقرب منه ، وفي الحديث القدسي [ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها . ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه] (١) .

ويقول الرسول الكريم : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) (٢) .

والذي يقر بأن محمداً رسول الله فلا بد من التزام أوامره فان

---

(١) رواه البخاري في الرقاق ٣٨ .
(٢) رواه مسلم في الصلاة ٢١٥ والنسائي في التطبيق ٧٨ وأحمد بن حنبل في المسند .

دعا إلى العلم التزم العلم . وإن دعا إلى الأخلاق التزم الأخلاق . وإن دعا إلى القوة بحث ونقب عن أسباب القوة . وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . فلا بد من طلبه من المهد إلى اللحد . ولا بد من الضرب في فجاج الأرض بحثاً عنه .

والعلماء ورثة الأنبياء . والخشية من الله والخوف منه خاص بالعلمـــاء .

(إنما يخشى الله من عباده العلماء) (١) .

ولن يحول بعد المسافة أو وعورة الطريق عن السعي لطلب العلم .

(اطلب العلم ولو بالصين) .

وطلاب العلم تحفهم الملائكة وتنزل عليهم الرحمة وتغمرهم السكينة .

يقول الرسول ﷺ : (ما من قوم اجتمعوا في بيت من بيوت الله يذكرون الله ويتدارسون العلم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) (٢) .

والعلم في الإسلام يتناول كل موجود ؛ وكل ما يوجد فهو

---

(١) سورة فاطر آية رقم ٢٨ .

(٢) رواه أبو داود في الوتر ، والترمذي في القرآن وابن ماجه في المدينة .

علم أعم من العلم الذي يراد لأداء الفرائض والشعائر . فالعلم عبادة أعم من عبادة الصلاة والصيام .

ولهذا قال النبي ﷺ في فضل هذه العبادة : (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)[1] وقال أيضاً : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع »[2] .

وإذا كانت رسالة الرسول ﷺ دعوة إلى العلم ، فلا بد أن تكون القراءة . أن يكون العام ، أن تكون النتائج باسم المربي (إقرأ باسم ربك) تعلم العلم والمعرفة باسم ربك ، اضرب في فجاج الأرض باسم ربك ، استخرج كنوز البحار وصارع الأمواج باسم ربك . ضع يدك على سلاحك لترد كيد الكائدين وتطهر الأرض من الغاصبين باسم ربك . اغمر نفسك في بحار المعرفة باسم ربك .

فلن يكون طلب العلم باسم بشر من البشر أو باسم فرد من الناس أياً كان هذا الفرد مصلحاً اجتماعياً أو زعيماً سياسياً أو مربياً عالمياً فمن خرج عن هذا الطريق . أو انحرف عن هذا النهج . أو أخذ بعض الكتاب وترك بعضه ، فهو خارج عن جو لا إله إلا الله .

فالعلم يجب أن يكون باسم الخبير الصانع ، باسم الخالق

---

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة ١٧ والترمذي في العلم ١٩ .

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٢٦٤٣ في العلم – باب فضل طلب العلم وقال هذا حديث حسن غريب .

المبدع الذي أوجد الجهاز الآدمي ، وصنع أجزاءه ومركباته . وأوجد سمعه وبصره ، وقدر حياته وموته . وحدد رزقه وأجله . لأنه وحده القادر على وضع ما يصلح حياته ويحقق سعادته ويملأ حياته بالأمن والاطمئنان وخصوصاً : في مجال الأخلاق ، في مجال العبادات ، في مجال التشريع والتقنين فان اختلطت علينا الأمور ، وعميت علينا السبل ، وانبهمت الطرق لجأنا إلى كتابه نستشيره ونستلهمه :

« اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »[1] .

وأهل الذكر هم أهل الله ، هم الذين تمذهبوا بمذهب الإله ، وتأدبوا بأدب القرآن ، وتخرجوا من مدرسة الإسلام ، وجلسوا على مائدة الرسول ﷺ وعبوا من علمه ، ونهلوا من فيضه ، واقتدوا بهديه ، إنهم عباد الرحمن .

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون »[2] .

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٧ .

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٦٣ – ٦٨ .

إنهم أهل الذكر . لا يتكبرون في الأرض . ولا يهتمون بلغو الحديث ولا يشغلهم لهو الحياة عن عبادة الله والذين يخشون ربهم ويخافون عقابه .

وهم ميزان عدل ليسوا من هواة الاسراف فيكونوا من أتباع الشيطان وليسوا من أهل الشح فيكونوا من أصحاب الكنوز .

ولكنهم تمذهبوا بقول ربهم « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » (١) .

وهم أخيراً ملتزمون بلا إله إلا الله .

لا يدينون بالعبودية لغيره ولا يرجون النفع من سواه ولن تسترقهم زخارف الدنيا وبريق الجاه . إنهم جنود الله .

« ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً » (٢)

« ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً (٣)

« وما يعلم جنود ربك إلا هو » (٤) .

ولعل سائلاً يقول : ما هذا الذي تدعُونا إليه وتبشر به ؟ أترفض كل نتاج العباقرة الذين عبروا التاريخ ؟

---

(١) سورة الأسراء آية رقم ٢٩ .
(٢) سورة الفتح آية رقم ٤ .
(٣) سورة الفتح آية رقم ٧ .
(٤) سورة المدثر آية رقم ٣١ .

أنترك ثمار أفكارهم ؟ أنغض أعيننا عن حضارة الأجيال ؟

أنترك كل ما وصلت إليه قمة العلوم البشرية على مر العصور ؟

ونقول : بأننا لا نرفض شيئاً يتفق مع جو لا إله إلا الله ، ولا نترك شيئاً يتمشى مع أصول ديننا ويتفق مع دعوة نبينا والرسول ﷺ يقول :

(الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها) .

ونحن نستورد الآلة . نستورد المدفع والمصنع ونستعمل الطائرة والصاروخ وتأتينا عبر البحار الأدوات الهندسية والمعدات الطبية ولن يشترط فيها أن تكون مصنوعة بأيدي مؤمنة أو مصممة (بلا إله إلا الله) .

وإنما يكفي فقط أن نستعملها نحن باسم الله .

(لأن الآلة في ذاتها لا يمكن أن يكون لها دين ولا جنس ولا وطن ولكن الهدف من استخدامها هو الذي يتأثر بأولئك جميعاً) .

فالمدفع في ذاته إنتاج بشري ساهمت في تطويره وصنعه أجيال من البشرية متتابعة ولكنك حين تستخدمه لن تكون مسلماً ولن تكون في دائرة لا إله إلا الله :

إذا استخدمته في الاعتداء على الآخرين .
إذا استخدمته في قتل الأطفال والنساء .
إذا استخدمته في تخريب الأرض وإشاعة الدمار فيها .
إذا استخدمته في إزعاج الآمنين واغتصاب أرضهم وديارهم .

فشرط استخدامه في الإسلام :
أن يكون رداً لعدوان .
(أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير) [1] .

وشرط استخدامه في الإسلام أن يكون احقاقاً لكلمة الله في الأرض وأن يكون الدين كله لله .

يقول الله تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله . فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) [2] .

ويقول سبحانه : (وقاتلوا في سبيل الله . واعلموا أن الله سميع عليم) [3] .

وقس على ذلك كل المخترعات الحديثة التي ساهمت البشرية في تطويرها وصنعها ، وخدمت أغراضاً عدة في فجاج

---

(١) سورة الحج آية رقم ٣٩ .
(٢) سورة البقرة رقم ١٩٣ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٤٤ .

الأرض كاستخراج البترول والبحث عن المعادن .

أو في أعماق البحار للكشف عن كنوزه .

أو في سبحات الفضاء للتعرف على أسراره .

ولنضرب لذلك مثلاً : فالسينما في ذاتها إنتاج بشري وتستطيع أن تستخدمها ولا تخرج بذلك عن جو لا إله إلا الله ما دمت تستخدمها في عرض العواطف النظيفة والإنسانية الرفيعة وصراع الأجيال في سبيل الخير .

يمكن استخدامها في زيادة الانتاج الزراعي والحيواني بعرض تجارب الآخرين في هذا الميدان والاستفادة من خبراتهم .

يمكن استخدامها في ميدان الصناعة والتطور «التكنولوجي» بعرض نماذج حية من تسابق العقول في هذا المضمار .

يمكن استخدامها في تكتيك الحرب وخدع المعارك والاستفادة من تخطيط الآخرين في ميدان الحروب والقتال .

يمكن استخدامها في ميدان الطب والوقاية الصحية .

يمكن استخدامها في دور التعليم بمرافقه المختلفة .

يمكن استخدامها في كل ميدان من ميادين الحياة وفي كل هدف من أهدافها ما دمنا ملتزمين بكلمة لا إله إلا الله .

ولكننا لن نكون كذلك إذا استخدمت لعرض الأجساد العارية وعرضها إثم ورؤيتها حرام ، ومتابعتها تبعد عن روح الله .

لن نكون في جو لا إله إلا الله . ونحن نستخدمها لعرض الشهوات الفاجرة والنظرات الداعرة ، والانسانية الهابطة . والمجتمع الذي تردى في الرذيلة من كل نوع والتي تسمى بمسميات مختلفة .

مرة باسم الأخلاقيات وكيف تكون ذلك وهي بعيدة عن وحي السماء ؟

وقريبة من همزات الشيطان ؟ وأخرى فكرية وهي لا تلتزم بكتاب الله .

وثالثة روحية وهي منحرفة عن هدي السماء .

إذا كانت الحضارة هي الخمر والميسر .

إذا كانت الحضارة هي الدعارة الخلقية .

إذا كانت الحضارة بيع النساء في سوق الرقيق .

إذا كانت الحضارة كشف سوءات النساء بثمن وبلا ثمـــن .

إذا كانت الحضارة هي ذاك فنحن أبعد ما نكون عن الحضارة لأنها حضارة التعفن والطين :

لأنها حضارة الغاب وشريعة الذئاب .

أما حضارتنا التي نؤمن بها وندعو اليها فهي حضارة التعمير والبنـــاء ..

حضارة الخلق والابداع ، نعم حضارة السلام والحب .

الحضارة التي تجعل رجلاً كعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقطع التلبية وهو في طريقه إلى أرض النور عندما لمح كوخاً في الطريق .

فقيل له : لم قطعت التلبية يا أمير المؤمنين .. ؟

فقال : خشيت ألا يجيب الله دعائي وهذا الكوخ على الطريق .

لقد قطع عمر التلبية لينبه الأمة الإسلامية أن الله لن يقبل دعاءهم وبينهم فقير محتاج ، لقد قطع عمر التلبية لينقذ الأغنياء من شح الأنفس ومن كزازة الفطرة لينقلهم مباشرة إلى روح الأخوة الإسلامية .

(إنما المؤمنون أخوة) (١) .
(أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) (٢) .
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .
إنها حضارة لا إله إلا الله .

والذي يقرر بأن محمداً رسول الله لا بد أن يتشبه به في حلمه ورحمته في فصاحته وقوته ، في إنسانيته وشفافيته .

ولقد كان الرسول ﷺ قوياً في نفسه يقول عندما فاوضه عمه في أمر الدعوة :

---

(١) سورة الحجرات آية رقم.١٠ .
(٢) سورة الحديد آية رقم ٧ .

(والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أقتل دونه) .

وقوياً في روحه لأن الذي علمه (شديد القوى ذو مرة فاستوى) [1] .

وقوياً في أدبه لأن أدبه من عند الله . (أدبني ربي فأحسن تأديبي) .

وقوياً في بلاغته لأن القرآن حجته ومعجزته .

يقول الله تعالى : « قل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » [2] .

وقوياً في مجتمعه وبين أصحابه يقول تعالى :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً » [3] .

والذي يتابع الرسول ﷺ لا بد وأن يكون قوياً في جسمه ، قوياً في نفسه قوياً في روحه .

---

(١) سورة النجم آية رقم ٦ .
(٢) سورة الإسراء آية رقم ٨٨ .
(٣) سورة الفتح آية رقم ٢٩ .

قوياً في جسمه لأن الله سبحانه وتعالى يقول « خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون »[1] .

والرسول عليه السلام يقول (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) .

ويحرص على إعداد المسلمين الأقوياء وتنشئة أبنائهم على الفروسية والقوة .

فيقول : (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل) .

وقوياً في نفسه : فلا تغلبه مغريات العصر ولا تسيطر عليه شهوات النفس فيكون ضابطاً لنفسه لا مضبوطاً لها ويكون قائداً لزمامها لا مقوداً لها .

يقول الله تعالى :

« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى »[2] .

قوياً في نفسه : فلا تنال منه الخطوب ولا تهزه النكبات ، ولا يقهر ارادته تجبر المتجبرين وتسلط القاهرين . يقول الله تعالى :

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٦٣ .
(٢) سورة النازعات آية رقم ٤١ .

« الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل »[1] .

وقوياً في روحه لأنه يؤمن بالغيب .

والإيمان بالغيب صفة المؤمنين الأقوياء الذين يؤدون أوامر الله فيكون لهم النجاح والفلاح . قال تعالى :

(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)[2] .

وقوياً في روحه لأن التقوى دينه .

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب)[3] .

وقوياً في روحه لأنه يتوكل على ربه .

(ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً)[4] .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٧٣ .
(٢) سورة البقرة آية رقم ٢ — ٥ .
(٣) سورة الطلاق آية رقم ٢ — ٣ .
(٤) سورة الطلاق آية رقم ٣ .

وقوياً في روحه لأنه يؤمن بأن لكل أجل كتاباً .

(إنا كل شيء خلقناه بقدر) [1] .

(وكل شيء عنده بمقدار) [2] .

وقوياً في فكره لأنه تتلمذ في مدرسة الرحمن ، وتخرج في مدرسة القرآن .

(الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان ، علمه البيان) [3] .

فلن يؤثر فيه دجل المدجلين ، ولن تأخذ بلبه أباطيل المحرِّفين وهو من أجل ذلك بعيد عن الانحرافات الفكرية التي تهدم ولا تبني . وتدمر ولا تعمر ، وتبعد البشرية عن شفافية الإيمان ورفاهية الإسلام .

فان أراد الفرد المسلم فلسفة الحق والعدل .

إن رغب في شريعة الحب والخير .

إن أراد تنظيماً للمجتمع على أساس الفضيلة .

إن أراد تربية للأمة على منهج الأخلاق .

إن أراد إعداداً لقوة .

إن أراد تخطيطاً لمعركة .

إن أراد تعميراً وبناء .

---

(١) سورة القمر آية رقم ٤٩ .

(٢) سورة الرعد آية رقم ٨ .

(٣) سورة الرحمن آية رقم ١ – ٤ .

إن أراد تشييداً وإبداعاً .

إن أراد معرفة لا تضلل وثقافة لا تنحرف بأصحابها .

إن أراد سياسة للأمة ، ومعرفة بتاريخ الشعوب ، ودراية بأحوال الأمم .

إن أراد ذلك كله وجده في كتاب الله .

قال تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) [1] .

وأخيراً : إذا نطق اللسان بالشهادة .

وصدق بها القلب . والتزمت بها الجوارح .

إذا فعل المسلم ذلك أيكون قريباً من ربه ؟ .

أيتلاشى البعد بينه وبين الله .. ؟

أيقول العبد : يا رب ، فيجيبه رب العزة بقوله : (لبيك يا عبدي) .

أيمكن ذلك .. ؟ وهل في مقدور الفرد أن يحققه .. ؟

وهل هناك سابقة تشير إلى ذلك .. ؟ أم أن هناك مسافات لا تقطع ..؟ وبعداً لا ينتهي ..؟

أيمكن أن يترك الفرد الكون إلى خالق الكون ..؟

إذا أردنا أن نعرف ذلك فلنقطع رحلة أخرى إلى رحاب الله .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٣١ .

الطَّـريقُ إلى اللهِ ...

هل يمكن أن نهاجر إلى الله .. ؟

وهل في مقدور الفرد أن يفر إلى ربه ..؟

وهل هناك من وسيلة .. ؟

وما الطريق إلى ذلك .. ؟

وما الأسباب التي تجعل الفرد قريباً من خالق الأرض والسماء .. ؟

أيمكن أن نتخلص من أثقال البشرية ونهاجر إليه ..؟

أهناك مطية تنقلنا إلى هناك .. ؟

أم أن وسيلة الوصول صعبة المنال متشعبة المسالك .. ؟

أنلجأ إلى العقل في أبحاثه واستنتاجاته ..؟

أم أن العقل طريق غير مأمون ومتشعب المناحي ..؟

وإذا كان ذلك كذلك.. أنلجأ إلى الروح في إشراقه وشفافياته .. ؟

وأين هو ..؟ وما طرقه ..؟ وكيف ينقلنا إلى هناك ..؟

أيكفي أن تكون لدينا الرغبة حتّى نصل ..؟

أم أن هناك طريقاً آخر غير العقل والروح ..؟

أنهاجر إلى القرآن الكريم في رحلة عميقة متأنية نستلهم معانيه ونتعرف على أحكامه ، ونخضع كل شئوننا لأوامره ..؟

وهل يوجد من سبقنا إلى هذه الرحلة ..؟

إذا كان ذلك كذلك فهو طريق معبد معروف .

ويكتفي أن تمتطي « صاروخك » أو تعتلي متن طائرتك حتّى تصل .

أم أن هذا أوهام العقل القاصر ، والتفكير العجل ..؟

وإذا لم يكن العقل طريقنا للوصول إلى الله .

وإذا لم تكن الروح مطية الوصول أيضاً فماذا إذن ..؟

إن القرآن الكريم يحدثنا عن رحلة الرسول ﷺ يحدثنا عن قربه القريب من ربه ، يحدثنا عن انغماره في النور ، يحدثنا عن مكان يضيق عنه النطق أو الكلام .

يقول الله تعالى : « فكان قاب قوسين أو أدنى » « ما زاغ البصر وما طغى » .

« لقد رأى من آيات ربه الكبرى » [1] .

ويحدثنا القرآن الكريم عن الذاهبين إلى ربهم .

يحدثنا عن الفارين إليه .

وعن الرحلة التي يقطعها الرجال في مسيرتهم إليه : فيقول عن لسانهم وحالهم :

« إني ذاهب إلى ربي » [2]
« ففروا إلى الله » [3]
« إني مهاجر إلى ربي » [4] .

ونقول : إذا كانت هناك هجرة إلى الله .
وإذا كان هناك فرار إليه .
فما نوع هذه الهجرة .. ؟
أتكون بالأبدان والتنقل بين الأوطان .. ؟

إذا كانت حقيقة الهجرة ، على هذه الصورة فما أكثر المهاجرين وما أضخم الضاربين في فجاج الأرض السائحين بين دروبها .

أم أن الهجرة التي يشير إليها القرآن الكريم هي من نوع

---

(١) سورة النجم آية رقم ٩ ، ١٧ — ١٨ .
(٢) سورة الصافات آية رقم ٩٩ .
(٣) سورة الذاريات آية رقم ٥٠ .
(٤) سورة العنكبوت آية رقم ٢٦ .

جديد لم تألفه البشرية ، ولم تعرفه في تاريخها الطويل إلا عن طريق الواحد بعد الواحد ممن يختارهم الله ..؟

إما عن طريق المجاهدة والعبادة الخالصة . والعمل المتواصل وتصفية النفس من أدرانها ، والقلب من وساوسه .

وإما عن طريق الاجتباء المحض مصداقاً لقوله تعالى : « يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب »[1] .

إن ما تعنيه الآيات الكريمة من الهجرة ، هي الهجرة من الخلق إلى الخالق .

من ظلام البصر إلى نور البصيرة .

الهجرة من الكون إلى خالق الكون .

من الآثار إلى موجد الآثار .

من ترابية الأرض ، إلى شفافية السماء .

من ضيق الدنيا إلى سعتها .

ومن قتامة الأفكار إلى صفاء الإيمان .

ونتساءل ما مطية الوصول إلى هناك .. ؟

وما المركبة التي تقطع بنا هذه الرحلة ..؟

أهناك طريق واضح نسرع السير فيه حتى نصل ..؟

إن القرآن الكريم يقول : «وأن إلى ربك المنتهى »[2] .

---

(١) سورة الشورى آية رقم ١٣ .

(٢) سورة النجم آية رقم ٤٢ .

صدق ربي في قوله : وأن إلى ربك المنتهى .

ولكن كيف .. ؟

وبم .. ؟

إن الإمام القشيري يقول : سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول :

« إن نبينا محمداً — ﷺ — أتى للأمة بالمعراج على التحقيق .

فإن الصلاة بمنزلة المعراج .

وقد كان المعراج له عليه الصلاة والسلام ثلاثة منازل :

من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

ثم من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى .

ثم منها إلى قاب قوسين أو أدنى .

فكذلك الصلاة — التي فرضها الله على عباده المسلمين — ثلاثة منازل :

القيام . ثم الركوع ، ثم السجود .

السجود وهو نهاية القرب . قال الله تعالى : « اسجد واقترب »[1] . أي اقترب من الله بسجودك .

ورسول الله ﷺ يقول عن السجود : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

---

(١) سورة العلق آية رقم ١٩ .

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – قال : كشف رسول الله ﷺ الستارة ، والناس صفوف خلف أبي بكر فقال :

« أيها الناس ، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له ، ألا وإني نُهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً ، فأما الركوع فعظموا فيه الرب . وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء ، فقمن أن يستجاب لكم »[1] .

.. ويروي الإمام مسلم – رضي الله عنه – في صحيحه عن أبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي – خادم رسول الله ﷺ – ومن أهل الصفة رضي الله عنه ، قال :

« كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته فقال : سلني .

فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة .

قال : أو غير ذلك .. ؟

قلت : هو ذاك .

قال : أعني على نفسك بكثرة السجود »[2] .

فالسجود إذن من الوسائل التي توصل إلى الجنة ، والجنة :

---

(١) رواه مسلم رقم ٤٧٩ في الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود وأبو داود رقم ٨٧٦ في الصلاة : باب الدعاء في الركوع والسجود . والنسائي ١٨٩/٢ في الافتتاح .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٢٦ باب فضل السجود والحث عليه .

« في مقعد صدق عند مليك مقتدر » [1] .

ولقيمة السجود الكبيرة عبر عن الصلاة أحياناً بالسجود . فصلاة الضحى يسمونها « سجود الضحى » .

ومن صفات عباد الرحمن التي يزكيهم ربهم بها
من صفات عباد الرحمن المقربين إلى مولاهم
من صفات عباد الرحمن الذين ينسبهم الله إليه
أنهم يكثرون السجود ويكثرون القيام .

إنهم في صلاة دائمة مع ربهم .. ولا يتخلون عن ذلك أبداً ولا يطيقون ذلك . قال تعالى :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » [2] .

وإذا كان ذلك كذلك . أتكون الصلاة طريقاً للقرب من الله .. ؟

أتكون هي المطية التي يمتطيها العبد فيصل إلى ربه ..؟
وإذا صح هذا الذي نقوله فما هي الصلاة ..؟
أهي صلة بين العبد وربه ..؟

---

(١) سورة القمر آية رقم ٥٥ .
(٢) سورة الفرقان آية رقم ٦٤ .

أهي نظام في اليوم والليلة للفرد المسلم والجماعة المسلمة .. ؟
أهي ضراعة ودعاء ورفع الأكفّ إلى السماء .. ؟
أهي رحمة مهداة من الله إلى العباد .. ؟

أهي أسلوب للحياة ، واتباع لنمط معين من أنماط التكاليف ليتعود المجتمع الإسلامي السمع والطاعة ، والنظام والنظافة .. ؟

أهي مؤتمر للأسرة الصغيرة خمس مرات في اليوم ..؟
ومؤتمر للأسرة الكبيرة مرة واحدة في الأسبوع ..؟
ومؤتمر عام للمجتمع المسلم مرتين في كل عام ..؟
الحقيقة أن الصلاة هي مجموع ذلك كله الذي سبق أن ذكرناه .

فالصلاة : هي الصلة بين العبد وربه ، والرابطة التي تربط الأرض بالسماء ومعراج المؤمنين إلى ربهم ، والمطية السريعة التي تنقلنا إلى رحاب الله سبحانه وتعالى :

عندها يزول البعد ، وتنمحي المسافات مصداقاً لقوله تعالى : واسجد واقترب [1] ، اقترب من منبع النور ما دمت في محراب الصلاة .

والصلاة رحمة مهداة من الله إلى عباده ومن الملائكة الأبرار إلى العباد المخلصين .

---

(١) سورة العلق آية رقم ١٩ .

يقول الله تعالى : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً »[1] .

فوصف نفسه بأنه يصلي ، والصلاة هنا بمعنى الرحمة ؛ رحمة لأنها تخرج المؤمنين من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان ؛ ومن العماية إلى الهدى . ومن الطرق المتشعبة إلى الطريق الواحد المستقيم .

ومن شقاء الانحراف إلى سعادة الاستقامة .

وصلاة الملائكة رحمة واستغفار .

قال تعالى : « ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته »[2] .

وصلاة الرسول لأمته رحمة ودعاء .

قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم : «وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم »[3] .

ووصف الله سبحانه وتعالى — نفسه وملائكته بأنه يصلي على محمد — ﷺ وطلب من عباده الدعاء والصلاة له . قال تعالى : « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٤٣ .
(٢) سورة غافر آية رقم ٧ — ٩ .
(٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٣ .

صلوا عليه وسلموا تسليماً »[1] .

ويوضح ما نشير إليه ما يقوله المسلم عند كل صلاة :

« اللهم أعط محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي ارتضيته وإذا كانت الصلاة بهذا المعنى . صلة بين العبد وربه ، ورحمة للمؤمنين ودعاء وسكينة .

فقد تأتي بمعنى التسبيح : تسبيح المخلوقات لربها : وتسبيح الكائنات لموجدها .

قال تعالى : « ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه »[2] .

والتسبيح في لغة العرب : الصلاة ..

قال عبد الله بن عمر — رضي الله عنهما — في التنقل في السفر ، لو كنت مسبحاً أتممت ، ويعني بذلك أنه لو صلى النافلة في السفر لأتم الفريضة .

وإذا كانت أوامر الإسلام ونواهيه ، وجزئياته وكلياته . نزل بها الروح الأمين جبريل عليه السلام ، على قلب رسولنا الكريم — محمد ﷺ — لتكون هذه الكليات والجزئيات إنذاراً وبشرى إلى الأمة الإسلامية بخاصة ، والإنسانية بأسرها بعامة

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٥٦ .

(٢) سورة النور آية رقم ٤١ .

فإن الصلاة لم تأت عن طريق جبريل عليه السلام .

ولم تأت عن طريق الوحي المعتاد .

ولم تأت عن طريق اتصال السماء بالأرض .

ولكنها فرضت في منبع النور ، وفي جوار الحق ، هناك بالأفق الأعلى .

قال تعالى :

« فكان قاب قوسين أو أدنى » ، « ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » (١) .

والصلاة تقع في الثانية من أركان الإسلام .

قال عبد الله بن عمر : حدثني أبي — عمر بن الخطاب — قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال :

يا محمد أخبرني عن الإسلام ..؟

فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .

قال : صدقت .

---

(١) سورة النجم آية رقم ٩ — ١٧ — ١٨ .

قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه .

قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ .

قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وتؤمن بالقدر خيره وشره .

قال : صدقت .

قال : فأخبرني عن الإحسان ؟ .

قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يــــراك

قال : فأخبرني عن الساعة ؟ ..

قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ..

قال : فأخبرني عن أماراتها .

قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة ، رِعاء الشاء يتطاولون في البنيان »

قال : ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لي :

« يا عمر أتدري من السائل .؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »[1] .

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه باب الإيمان رقم ١ ورواه البخاري في صحيحه أيضاً .

فالصلاة على حسب هذا الحديث ، الثانية من أركان الإسلام مشتقة من المصلى ، وهو الذي يلي السابق في حلبة السباق .

والسابق : هو التوحيد
والمصلى : هي الصلاة .

وقيل الصلاة ، مشتقة من الصلى — وهو النار — والحديدة المعوجة إذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم .

وفي العبد اعوجاج لوجود نفسه الأمارة بالسوء .
قال تعالى : «وما أبرىء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء »(١) .

فالمصلى : كالمصلى بالنار ، ومن اصطلى بنار الصلاة وزال اعوجاجه لا يعرض على نار جهنم .

وكيف يعرضون وهم مؤمنون ..؟
وكيف يعذبون وهم يصلون ..؟
محال أن يكون ذلك .

لأن رب العزة وصفهم بالفلاح والنجاح قال تعالى :
« قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » (٢) .
والصلاة فترة مناجاة بين العبد وربه .

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٥٣ .
(٢) سورة المؤمنون آية رقم ١ .

والصلاة فترة انقطاع كامل — ويجب أن يكون كاملاً — عن عالم المادة ، عالم الشهوات ، عالم الفتنة ، عالم الدنيا الذي وصفه الله تعالى بقوله :

« إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون »[1] نقول فترة انقطاع لتتخلص النفس إلى المنعم الوهاب فتنعم بسعادة الصلة به والقرب منه .

نقول إنها فترة مناجاة .

لأن رسول البشرية محمداً ﷺ عندما عرج به إلى السماء ناجى ربه وهو بالأفق الأعلى ، ناجاه بكلمات ، وتلقاه ربه بتحيات أصبحت بعدها من الصلاة .

لقد قال الرسول ﷺ وهو قريب من ربه : « التحيات لله والصلوات والطيبات » .

وحياه ربه : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ورد الرسول عليه السلام — ومعه ملائكة أبرار ، ومرسلون أخيار — تحية ربهم :

---

(١) سورة يونس آية رقم ٢٤ .

« السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

وكأن الوجود بأسره ، والعالم بأجمعه قد تحول إلى جوقة في رحاب محكمة الخالق المبدع لتشهد وتؤكد وتقرر وتعترف بقولهـا :

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
ثم ماذا .. ؟

ثم فرضت الصلاة على أمة محمد ﷺ فرضت في منبع النور ، عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى .

فرضت في ليلة مباركة . ليلة الإسراء والمعراج .

ويسأل الرسول ﷺ عن حقيقة الصلاة فيقول : « الصلاة مناجاة بين العبد وربه » .

مناجاة بين الخالق والمخلوق .
تعانق الأرض بقباب السماء .

يروي ابن الجوزي – في كتابه – شرح القلوب عن ابن عباس – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال :

قال لي جبريل عليه السلام :

« إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول : إذا وقف العبد بين يدي للصلاة وقال : الله أكبر أرفع الحجاب بيني وبينه .

وإذا قال : الحمد لله .

يقول الله سبحانه وتعالى : لمن الحمد ..؟

فيقول العبد : لله .

فيقول له ربه : ومن الله ..؟

فيقول : رب العالمين .

فيقول له : ومن رب العالمين .. ؟

فيقول : الرحمن الرحيم .

فيقول : ومن الرحمن الرحيم ..؟

فيقول : مالك يوم الدين .

فيقول : يا عبدي .. أنا مالك يوم الدين ..؟

فيقول العبد : إياك نعبد وإياك نستعين

فيقول يا عبدي : إياي تعبد وإياي تستعين ..؟ سل تعط .

فيقول : اهدنا

فيقول له : أي الهدى تريد ..؟

فيقول : الصراط المستقيم .

فيقول : أي الصراط تريد ..؟

فيقول : صراط الذين أنعمت عليهم .

فيقول : يا ملائكتي اشهدوا أني قد جعلت عبدي من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

فيقول العبد : غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

فيقول الله تعالى : اشهدوا أني جعلته من الذين أنعمت عليهم ولم أجعله من المغضوب عليهم ولا الضالين .

فيقول العبد : آمين .

فتقول الملائكة : آمين آمين .

أليست هذه مناجاة .. ؟

أتكون هناك مناجاة أكثر من ذلك ..؟

الجواب .. لا

لأن هذا قرب من الله تعالى بغير وساطة أو كهانة .

قرب لا توجد فيه مسافات أو حدود .

قرب يشهده جنود الله وتباركه ملائكته الأبرار .

ويؤيد ما يرويه ابن الجوزي أن رسول الله ﷺ خرج على أبي بن كعب وهو يصلي ، فقال له رسول الله ﷺ « يا أبي .

فالتفت أبي فلم يجبه ، وصلى وخفف ، ثم انصرف فقال : السلام عليك يا رسول الله .

قال : وعليك السلام .

« ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك ؟ ..

قال : كنت في صلاة .

قال : أفلم تجد فيما أوحي إليّ أن : استجيبوا لله وللرسول

إذا دعاكم لما يحييكم »[1] ؟ ...

قال : لا أعود إن شاء الله .

قال : تحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ، ولا في الإنجيل ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلها ..؟

قال : نعم .

قال : كيف تقرأ في الصلاة ..؟

قال : فقرأ أم القرآن .

فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلها ، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته » .

ولا بد من حضور الملائكة عند إقامة الصلاة ، حتى يقدموا شهادتهم بذلك لربهم .

ويصفون له صلاة عباده وقيامهم .

إن الملائكة الأبرار يقولون لربهم :

« إن عبادك يا رب يقدسونك كما نقدسك ، ويسبحون بحمدك كما نسبحك »

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٢٤ .

وهم عباد مؤمنون يصلون كما نصلي »

روى أبو هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر ، وصلاة العصر ، ثم يَعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم — وهو أعلم بكم — كيف تركتم عبادي .. ؟

فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون (١) .

ويؤيد حديث ابن الجوزي السابق حديث أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : سمعت النبي ﷺ يقول :

قال الله تعالى : قسمت الصلاة — أي الفاتحة — بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل :

فإن قال العبد : الحمد لله رب العالمين .

قال الله تعالى : حمدني عبدي .

وإذا قال : الرحمن الرحيم .

قال الله تعالى : أثنى عليّ عبدي

---

(١) رواه البخاري ٢٨/٢ و ٢٩ في مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، وفي بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، وفي التوحيد ، وباب كلام الرب مع جبريل ومسلم رقم ٦٣٢ في المساجد ، باب فضل صلاة الصبح والعصر ، والمحافظة عليها . والموطأ ١٧٠/١ في قصر الصلاة في السفر .

وإذا قال : مالك يوم الدين .

قال : مجدني عبدي

وإذا قال : إياك نعبد واياك نستعين .

قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل .

فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل .

وإذا كان للصلاة هذه المكانة عند الله .

وإذا كانت الصلاة وسيلة نتقرب بها إلى الله .. فإن الإسلام يحتفل بها ويعتبرها عماد الدين ، وقاعدة الشريعة ، ولب الإيمان ، فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فهو خارج عن شريعة ربه ، ومتمرد على قانون الجماعة ، ومارق عن وحدة الصف .

روى الإمام مسلم عن جابر ــ رضي الله عنه ــ قال :

« سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »(١) .

ويروي الإمام الترمذي ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ

---

(١) رواه مسلم ٨٢ في الايمان باب بيان اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، وأبو داود رقم ٤٦٧٨ ، في السنة باب في رد الأرجاء والترمذي رقم ٢٦٢٢ في الايمان باب ما جاء في ترك الصلاة .

قال : «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» [1] .

كفر بأنعم الله .

وكفر بقانون الجماعة .

وخرق النظام المتبع .

وتمرد على شرع الله ، فأصبح غريباً في مجتمع متعارف متكامل لا يعرف إلا الجد والعمل والإيمان .

وترك أحب الأعمال إلى الله .

روى معدان بن أبي طلحة قال : لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت أخبرني بعمل أعمله يُدخلني الجنة — أوقلت : بأحب الأعمال إلى الله . فسكت .

ثم سألته فسكت . ثم سألته الثالثة فقال :

« سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال :

« عليك بكثرة السجود لله . فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة .

قال معدان : ثم أتيت أبا الدرداء فسألته فقال مثل ما قال لي ثوبان » [2] .

---

(١) رواه الترمذي رقم ٢٦٢٢ في الإيمان والنسائي ٢٣١/١ و ٢٣٢ في الصلاة وأحمد في المسند وابن ماجة والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ، وهو حديث صحيح .

(٢) رواه مسلم رقم ٤٨٨ في الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه ، =

فالصلاة أحب الأعمال إلى الله .

والصلاة وسيلة القرب إليه

والصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر

والصلاة تكفر الذنوب وتمحو الخطايا ، وتطهر الإنسان من كل أمراضه ، وأدرانه .

قال حمدان مولى عثمان : كنت أضع لعثمان طهوره ، فما أتى عليه يوم إلا وهو يفيض عليه من ماء .

فقال عثمان : حدثنا رسول الله ﷺ عند انصرافنا من صلاتنا — أراه قال العصر — فقال :

« ما أدري أحدثكم أو أسكت ..؟

قال : فقلنا : يا رسول الله ، إن كان خيراً فحدثنا ، وإن كان غير ذلك ، فالله ورسوله أعلم .

قال : ما من مسلم يتطهر فيتم الطهارة التي كتب الله عليه ، فيصلي هذه الصلوات الخمس ، إلا كانت كفارات لما بينها » (١) .

= والترمذي رقم ٣٨٨ في الصلاة ، باب ما جاء في كثرة الركوع والسجود وفضله ، والنسائي ٢٢٨/٢ في الافتتاح ، باب ثواب من سجد لله عز وجل سجدة .

(١) رواه البخاري ٣٢٨/١ في الوضوء . باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ، ومسلم رقم ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ في الطهارة باب صفة =

وإذا كان ذلك كذلك ..

فكيف يكون مجتمع الصلاة ..؟

هذا ما نجليه في الصفحات المقبلة إن شاء الله .

= الوضوء ، والموطأ ١/٣٠ ، ٣١ في الطهارة ، باب جامع الوضوء ، والنسائي ١/٩١ في الطهارة ، باب ثواب من توضأ .

مجتمع الصلاة

مجتمع الصلاة مجتمع لا يعرف الغربة ، مجتمع لا يوجد فيه الغريب أو الدخيل ، حتى ولو كان من بلاد بعيدة ، أو من غير هذا الوطن ، وكيف يكون غريباً والله سبحانه وتعالى يقول :

« وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » (١) .

والصلاة أقرب السبل إلى التعارف ، وأنجح الوسائل في إشاعة المحبة بين الناس ، وفي تقريب قلوبهم ، وإلغاء الحدود بين أوطانهم .

ومجتمع الصلاة : لا يعرف التنازع ولا يرضى التدابر ، ويقضي على مسافات الخلف بين أفراده ، رغبة في وجود المجتمع المتماسك وحفاظاً على كيانه وقوته .

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ١٣ .

قال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »[1] .
وكيف يتنازعون وقلوبهم مليئة بذكر الله ..؟
وكيف يختلف المصلون ودستورهم واحد ..؟
إن القلوب المتنافرة ، هي القلوب التي لاتذكر الله .
فالقلوب المتنازعة هي القلوب المنحرفة عن هدى الله.
أما قلوب المؤمنين فهي مطمئنة قال تعالى :
« ألا بذكر الله تطمئن القلوب »[2] .

مجتمع الصلاة مجتمع جاد لا يعرف العبث ، يقظ لا ينام إلا قليلاً .

قال تعالى :

« كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون »[3] .

مجتمع الصلاة : تكون له دائماً رغبة إلى العلم فهو دائماً يفتش عن المعرفة ويضرب في فجاج الأرض للوصول إليها : اطلب العلم ولو بالصين . وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

ويقول الرسول ﷺ : فيما يرويه عبد الرحمن بن عوف الزهري قال : سمعت معاوية يخطب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٤٦ .
(٢) سورة الرعد آية رقم ٢٨ .
(٣) سورة الذاريات آية رقم ١٨ .

« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم ، ويعطي الله ، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة ، وحتى يأتي أمر الله » (١) .

مجتمع الصلاة نظيف اليد والقلب ، طاهر الظاهر والباطن أبعد ما يكون عن أمراض القلب من الحقد والغل والحسد والتجسس ، والغيبة والنميمة لأنه أنس بحب الله تعالى ، يقول سبحانه في محكم كتابه « ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا » سورة الحجر آية رقم ٤٧ .

وطاهر الظاهر : لأنهم يتطهرون خمس مرات في اليوم ، عن عقبة بن عامر الجهني – رضي الله عنه – قال :

« كانت علينا رعاية الإبل ، فجاءت نوبتي أرعاها ، فروحتها بالعشى ، فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس ، وأدركت من قوله : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ، ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة » .

فقلت : ما أجود هذا ..؟

---

(١) رواه البخاري٦/١٥٢ في الجهاد باب قوله تعالى ، فإن لله خمسه وللرسول ، وفي العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وفي الاعتصام ، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم ، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، ومسلم رقم ١٠٣٧ في الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه .

فإذا قائل بين يدي يقول : التي قبلها أجود .

فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال : إني قد رأيتك قد جئت آنفاً .

قال : ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ الوضوء ، أو يسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء »[1] .

إن مجتمع الصلاة يطهرون أجسادهم بالماء فلا تمرض .
ويطهرون أرواحهم بالصلاة فلا تنحرف قال تعالى :
« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »[2] .
ويطهرون أموالهم بالزكاة فلا تنقص ، قال تعالى :
« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »[3] .
من هنا كان مجتمع الصلاة مجتمعاً طاهراً .

ومجتمع الصلاة قد تجد فيه الفقير ، ولكن لا تجد المحتاج ، تجد من قتر عليه في الرزق ، ولكنك لا تجد المتسول . تجد فيهم

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٣٤ في الطهارة ، باب الذكر المستحب عقب الوضوء ، وأبو داود رقم ١٦٩ ، و ١٧٠ في الطهارة ، باب ما يقول الرجل إذا توضأ ، والترمذي رقم ٥٥ في الطهارة ، باب ما يقال بعد الوضوء ، والنسائي ١/٩٢ ، ٩٣ في الطهارة ، باب القول بعد الفراغ من الوضوء .

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٤٥ .

(٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٣ .

الأغنياء ، ولكن لا تجد فيهم مظاهر الشح والبخل ، فهم كرماء أوفياء يعالجون مرضاهم بالصدقة ، وينمون أموالهم بالزكاة ، ويكفرون عن ذنوبهم بالإحسان قال تعالى :

« فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » [1] .

ومجتمع الصلاة : مجتمع النظام والطاعة ، مجتمع الصدق والعفة ، مجتمع لا يعرف الفوضى ، لأنه يخطط لمستقبله فلا يعرف الارتجالية ، ولا الطفرة في إنجاز الأمور قال تعالى :

« فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » [2] .

وهو مجتمع مطيع لا يعرف العصيان أو التمرد ، ولا الخروج على أمر الحاكم التزاماً بقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً » [3] .

وكيف يخرج هذا المجتمع على الحاكم وهو الذي اختاره .. ؟

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٨ .

(٢) سورة النساء آية رقم ١٩٥ .

(٣) سورة النساء آية رقم ٥٩ .

وكيف يشق عصا الطاعة وقد ارتضاه ..؟
وكيف يطالب بالثورة على حاكم الأمة وهو خادمها ؟

قال وائل بن جعفر – رضي الله عنه – قال : سأل سلمة ابن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ قال :

« يا نبي الله : أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ، ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه .

ثم سأله : فأعرض عنه ، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة – فجذبه الأشعث بن قيس . فقال : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » [1] .

والحاكم في مجتمع الصلاة لم يتسلق إلى الحكم بدعاية كاذبة ، أو أهواء مغرضة ، ولم يطلب الحكم لنفسه ، وإنما طلب له ، ولم يتسلق إلى السلطة اعتماداً على وجاهة قريب ، أو خدعة أريب .

مجتمع الصلاة مجتمع العزة والكرامة ، لا تحتل أرضه ، ولا تستعمر بلاده ولا يرضى بالدنية من العيش ولا يقبل الخضوع لإنسان ، قال الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » [2] .

---

(١) رواه مسلم رقم ١٨٤٦ في الإمارة ، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق ، والترمذي رقم ٢٢٠٠ في الفتن ، باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل .
(٢) سورة المنافقون آية رقم ٨ .

مجتمع الصلاة لا تحيط به النكبات ، ولا تستذله المصائب ، فإن حلت به هرع إلى الصلاة ، وإذا دهمته الخطوب اتجه إلى الله ، ومن يقدر على كشف الضر سواه .

قال تعالى: «أمَّنْ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله قليلاً ما تذكرون ، أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ءإله مع الله تعالى الله عما يشركون » (١) .

ولقد كان الرسول ﷺ إذا أحاطت به النكبات يقول « أرحنا بها يا بلال » .

يدعوه إلى إقامة الصلاة .

روى أبو داود بسنده عن عبد الله بن محمد بن الحنفية قال : انطلقت أنا وأبي إلى صهر لنا من الأنصار نعوده ، فحضرت الصلاة ، فقال لبعض أهله : يا جارية ائتوني بوضوء لعلي أصلي فأستريح .

قال : فأنكرنا ذلك عليه .

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قم يا بلال فأرحنا بالصلاة » (٢) .

فهنا العز الذي لا ذل معه .

---

(١) سورة النمل آية رقم ٦٢ – ٦٣ .

(٢) سنن أبي داود باب كتاب الأدب رقم ٤٩٨٦ .

والقوة التي لا ضعف فيها .
والأمن الذي لا يلابسه خوف .

إن الصلاة بهذا التصور هي أعظم طاقة للتحرر : تحرر الفرد وتحرر الجماعة .

ولذا كانت وسيلة النصر الأولى إنما تكمن في الصلاة، ولقد أقامها الرسول ﷺ في ميدان القتال . قال تعالى :

« وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » (١) .

فالصلاة لا تسقط في سفر . ولا تتعطل في مرض، ولا تتوقف في ميدان القتال .

الصلاة في السلم دعامة الأمن والاطمئنان .
ووسيلة لاشاعة المحبة والتعاون في المجتمع .
والصلاة في ميدان القتال طريق إلى النصر .
والصلاة في المرض مدعاة إلى الشفاء .

والصلاة في السفر ، مطية الوصول إلى الهدف وتحقيق الغرض .

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٢ .

والحياة في حاجة إلى رجال أحرار لا يسجدون إلا لله ، ولا يخضعون إلا لحكمه . رجال أحرار لا تستذلهم شهوات نفوسهم ، ولا تستعبدهم إرادة الجبارين .

وهؤلاء هم الذين ينصرون في ميدان الحروب لأنهم يرفضون الحياة فتوهب لهم الحياة ، ويبنون مجتمعاتهم على السلام والأمن .

مجتمع الصلاة : يرى أن الصلاة مفرق الطرق بين الهدى والضلال فلا خير فيمن لا يصلي ، لأنه عبد نفسه وعبد شهواته . ولا ثقة فيه .

نقول لا ثقة فيه لأنه قطع ما بينه وبين الله فكيف يصل ما بينه وبين الناس ..؟

ومن لا خير فيه لربه لا خير فيه لنفسه . ولا لمجتمعه ، ولا للناس أجمعين .

ومجتمع الصلاة : ينحي التاركين للصلاة عن مراكز القيادة ومن مواقع العمل الجادة ، لأنهم لا يحتكمون إلى ربهم بل إلى شهواتهـــم

وهذه حقيقة يجب أن ننتفع بها عند عودتنا إلى ساحة الإيمان وذلك بأن ننظر إلى الأشخاص من خلال معرفتهم لربهم ، ومن واقع إيمانهم ، ونضع هذه المرشحات في المرتبة

الأولى ثم نبحث معها عن العلم والخبرة التي ترشح لتلك الوظيفة .

لقد أراد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن يختار قائداً لجيشه في حرب الروم ، وكان عمر بصيراً بأقدار الرجال ، لقد انتدب أكفأ القادة وأحزم الولاة من خشوعهم في الصلاة ، ثم من خلال مواهبهم في الحياة فكأن إتقان الصلاة رشح هؤلاء لمناصب القيادة والإمارة .

فالنعمان بن مقرن قائد معركة « نهاوند » المشهورة لم يكن عمر يعرف اسمه لكنه حين دخل المسجد رأى رجلاً يصلي صلاة خاشعة ، فامتلأ قلبه اعجاباً به .

وامتلأت نفسه ثقة فيه .

وكان الرجل مفتول الذراعين ، مرفوع القامة ، قوي العضلات .

وسأل أمير المؤمنين عمر : من هذا ..؟
فقيل له : هذا النعمان بن مقرن .
فقال : عليّ به .
فلما مثل الرجل بين يديه قال له عمر :
لقد انتدبتك لأمر عظيم .

فقال الرجل العملاق : يا أمير المؤمنين إن كنت تريدني لجمع الصدقات فإني لا أصلح لذلك ، وإن كنت تريدني

للجهاد والاستشهاد في سبيل الله فإني أصلح له .

فقال أمير المؤمنين : بل أردتك للاستشهاد ، ثم ولاه إمارة الجيش وقد كان أول أعمال النعمان في المعركة . أن طلب من جنده أن يتوضأوا ليصلوا صلاتهم قبل الالتحام بعدوهم » .

وبعد الصلاة مباشرة طلب إليهم أن يرفعوا أيديهم قائلاً لهـــم :

« أيها الناس إني داع فأمنوا »

فماذا دعا هذا القائد وهو على أهبة القتال ..؟

أطلب من الله أن يثبت جنوده ويملأ قلوبهم بالإيمان ؟.

والتجأ إلى مولاه أن يهزم عصابة الكفر .. ويشتت جنود الشيطان .

أم طلب من ربه أن يهدي أعداءه أعداء الدين إلى كلمة التوحيد . ؟

وبذلك يحل السلام محل القتال .. وتعيش البشرية تحت راية الايمان ، يعمرون الكون ويقومون بدور الخلافة في الأرض .

إن كتب التاريخ تقول : إن النعمان قال لهم : أيها الناس إني داع فأمنوا ثم قال : اللهم ارزق النعمان استشهاداً في سبيلك يفتح به على المسلمين » فقالوا جميعاً : آمين .

ثم التحم الجيش الإسلامي بالعدو في كر متتابع الحملات حتى انكشف ذلك العدو ، ولكن القائد العملاق : كان قد دفع الثمـــن .

لقد خرّ صريعاً في الميدان تنزف الدماء منه .

وبينما هو في النزع الأخير إذ اقترب منه معقل بن يسار فسأله وهو يحتضر : هل تم النصر ..؟

قال معقل : نعم .

فقال : الحمد لله اكتبوا لأمير المؤمنين ثم فاضت روحه . رحمه الله .

الخشوع في الصلاة : معيار البطولة ، وأداء الصلاة : وسيلة للترشيح لمناصب الدولة ، لأن المناصب القيادية في مجتمع الصلاة ، لن تكون لكل جريء العين فارغ القلب .

لن تكون لكل من يجيد فن التملق والوصول .

وفي مجتمع الصلاة لن يكون اختيار الحكام والولاة عن طريق تزييف الانتخابات ، وإغراق المجتمع بالوعـــود المعسولـــة .

في مجتمع الصلاة : لن يختار الحاكم عن طريق المصاهرة أو القربى أو من أندية اللهو وأماكن العبث ، ولكن الاختيار يتم عن طريق المسجد الجامع ، بحيث يجتمع نماذج الرجال

فينصهرون في بوتقة الإيمان ، وينفضون أيديهم بالكلية من ترابية الأرض إلى شفافية السماء .

إن حكام المسلمين يجب أن يكونوا من الرجال الأقوياء .

الأقوياء في أبدانهم حتى لا يملأ الهلع نفوسهم إذا أحاطت بهم الخطوب والأقوياء في عقولهم حتى لا يلقوا ببلادهم ومصائرها في قبضة الأعداء نتيجة لطفرة في الرأي أو عجالة في التفكير .

أقوياء في أرواحهم فلا تغرهم الدنيا ، ولا يحرصون على حطامها الفاني .

الحاكم في مجتمع الصلاة :

« رجل يؤمن بالله ويغرس الإيمان في المجتمع .

رجل يصلي لنفسه ويؤم الناس في الصلاة .

رجل يخرج الزكاة ويشرف على جمعها من الآخرين .

رجل يصوم رمضان ويرقب حرمة الشهر في أرجاء المجتمع » .

الحاكم في مجتمع الصلاة يؤمن بأن الإسلام عقيدة في القلب ، وقانون في الحكم ، وقواعد في الأخلاق ، ونظام في المجتمع ، ورباط بين أتباعه .

مجتمع الصلاة : مجتمع الأمة القرآنية التي تقوم بعين الله

ورعايته يحكمها عباد أتقياء أصفياء يحبون الله ويحبهم .

هذا المجتمع لا تفترق فيه السياسة عن الصلاة ، ولا العمل عن العبادة .

مجتمع تتحول فيه الدنيا من غابة الشهوات إلى واحة العبـــاد .

ومن صراع الشياطين إلى تعاطف المؤمنين .

ومن أماكن اللهو والفجور إلى مساجد للتبتل يذكر فيها اسم الله تعالى .

مجتمع الصلاة : يتزيا بكسوة الجندية ، فهو دائماً في حرب أو على أهبة الحرب .

لقد عاش العالم الإسلامي ردحاً طويلاً من الزمن وشبابـــه لا يعرف الطريق إلى المسجد ، ولا يهتم بأداء الصلاة . فماذا كانت النتيجة .. ؟

لقد تخلف عن ركب الحياة ، ولفته دوامة العجز ؛ وأصبح الطابع المسيطر في مجتمعاتنا التدهور الديني والانحلال الخلقي ، والفساد الاجتماعي ، والانهزامية الشاملة مع أعدائنا .

فأين المفر ..؟

وما طريق الخلاص .. ؟

وهل هناك من علاج .. ؟

أرى أن نفرّ إلى الله ..

وطريق الخلاص : هو كتاب الله .

والعلاج : الاقتداء بسنة الرسول ﷺ والالتزام بأوامره في السلم والحرب ، في الاقتصاد والسياسة ، في كل ما نأتي وما ندع وأن نصبح مجتمعاً يعرف الطريق إلى المسجد ، وأن ننحي عن أماكن القيادة هؤلاء الذين قطعوا ما بينهم وبين الله .

الصلاة : طريق إلى الله لأنها مناجاة بين العبد وربه ، والجهاد أيضاً طريق إلى الله لأنه إعلاء لكلمته وتحرير لعبيده من ذل الطغاة المتجبرين ...

قال تعالى :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (١) .

ويقول أيضاً :

« إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » (٢) .

إنه يحبهم فهم إذن في مرحلة القرب منه ، والوصول إليه ،

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢١٦ .

(٢) سورة الصف آية رقم ٤ .

فإن أحرزوا النصر فهو من عند الله ، قال تعالى :

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز »[1] .

وإن نالوا الشهادة فهم أحياء في جنته وأقرباء من رضوانه . قال تعالى: « ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله »[2] .

والتوبة : طريق إلى الله قال تعالى :

« إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »[3] .

والتائب راجع إلى ربه ، وعائد إليه ، ولهذا كانت التوبة عند علماء المسلمين إسلاماً جديداً ، والإسلام يجبّ ما قبله .

والتوبة : طريق القرب . يقول تعالى :

« وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »[4] .

وما دام العبد يؤدي صلاته ، ويتوب إلى ربه ، ويحود إلى رحابه ، ويجاهد أعداء الله وأعداء دينه ونفسه فهو قريب من ربه ، وولي من أوليائه ، ورباني في كل أحواله وتصرفاته قال تعالى :

---

(١) سورة الحج آية رقم ٤٠ .
(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩ – ١٧٠ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٢ .
(٤) سورة النور آية رقم ٣١ .

« كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » [1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل :

« أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني . إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملإ هم خير منهم ، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » [2] .

يقول الإمام الغزالي — رضي الله عنه — ومن أول الطريق تبتدىء المكاشفات والمشاهدات ، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ؛ ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال ، إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق .

والذي يقوله الإمام الغزالي يؤيده كلام رب العزة ، قال

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٧٩ — ٨٠ .

(٢) رواه البخاري في التوحيد ١٥ — ٥ والإمام مسلم في التوبة ١ والذكر ١ ٢٠ — ٢٢ ، ورواه الترمذي في الدعاء ١٣١ ، وابن ماجه في الأدب ٥٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ — ٥١ ، ٤١٣ ، ٤٨٠ .

تعالى : « ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » [1].

وبناء على هذه الآية : نرى أن الملائكة يمكن أن تنزل على كل عبد يتحقق فيه شرط الإيمان والاستقامة قال تعالى :

« إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم » [2].

---

(١) سورة النحل آية رقم ٢ .

(٢) سورة فصلت آية رقم ٣٠ — ٣٢ .

مَعَ شَبابِنا في أفكاره المُسْتَورَدَة

ينقسم شبابنا بالنسبة إلى قبول العقيدة ورفضها إلى ثلاثة أقسام :

قسم يرفض العقائد جملة ويتنكر للرسل ، وينساق مع الأفكار التي تأتي له من خلف السهوب والحدود .

وهؤلاء كان لنا معهم حديث سابق في كتابنا « مع الإلحاد وجهاً لوجه » .

والقسم الثاني : شباب مخلص لدينه ، متبع لأوامر ربه مؤد لفرائضه يعرفون الطريق إلى ربهم تراهم خشعاً ركعاً ، يقضون ليلهم سجداً وقياماً ، وهؤلاء هم عدة الوطن في السلم والحرب ، في الحقل والمصنع في المشرحة والمعمل .

والقسم الثالث : شباب مسلم بالتبعية ، ويضاف إلى جملة المسلمين عن طريق الإحصاء العام يقول : لا إله إلا الله ،

ولكنه لا يعمل بها .

ويعترف بالأنبياء ولكنه لا ينفذ أوامرهم .

وإذا قلنا لهذا الصنف الثالث : أدِّ الصلاة .

يقول : إنها دعوة لم نألفها ، وصوت لم نسمعه ؛ أنسيت أننا في القرن العشرين .. عصر المدنية والتطور ..؟

كيف تعود بنا إلى عصر الغاب وتردنا إلى حياة الكهف .. ؟

أنترك العلم إلى الجهل .

والمدنية إلى الهمجية .. ؟

أصلاتك تأمرك بذلك ..؟

إننا نريد الجديد الذي يبهرنا بضوئه ، ويطربنا بصوته . ويسكرنا بخمره ، أفي الصلاة مثل ذلك ..؟

أفي الصلاة أضواء وأصداء ..؟

أفيها أنغام وألحان .. ؟

أفيها ما يلذ ويمتع .. ؟

وإذا لم يكن كذلك فلماذا تؤدى ..؟

إن المدنية الحديثة نظفت أبداننا ، وطهرت أطرافنا ؛ وصقلت أجسادنا ؛ فعلام الصلاة إذن ..؟

أم أنك تريدها لتهذب أفكارنا وترقق قلوبنا ..؟

إن كنت تريد ذلك فمن قال إننا غير مهذبين ..؟

من ينكر رقة قلوبنا ، ودقة إحساسنا ..؟

الصلاة مضيعة للوقت ونحن في حاجة إليه . والصلاة مشغلة للفكر ويجب أن يدخر للعمل .

هكذا يقول بعض الشباب .

الشباب : الذي تربى على موائد الغير .

الشباب : الذي افتقد الشخصية الإسلامية التي تقود وتوجه وترشد وتربي .

هؤلاء الشباب ، هم ضحية الأفكار الدخيلة والتربية الغربية والمخطط الاستعماري . مظلوم هذا الشباب .. ؟!

ولنا أن نتساءل : أحقاً أن المدنية الحديثة بكل وسائلها استطاعت أن تنظف أجسادهم ، وأن تطهر أبدانهم ..؟

أتعتبر الأفواه التي تعبّ من الشراب الحرام حتى الثمالة ظاهرة ..؟

أتكون الأيدي التي تمتد إلى أموال الغير بالنهب واللصوصية نظيفة .. ؟

أتكون تلك الأجساد التي تلتصق التصاق الحيوانات في الحظائر ، وتتسافد تسافد الطيور على أغصان الشجر لها رائحة المسك ، وفيها أريج العفة ..؟

ومن قال لهم : إننا ندعو إلى النظافة الجسدية فقط ..؟
أو الطهارة الظاهرية فحسب .. ؟

إنك لا تدخل الصلاة إلا وأنت طاهر الظاهر والباطن ، قال تعالى : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين »[1] .

يحبون أن يتطهروا من النجاسات والجنايات بالماء .
ويحبون أن يتطهروا من الفحش والفواحش بذكر الله .

والطهارة التي تتطلبها إقامة الصلاة ، ليست هي الطهارة التي تقف عند إزالة الأوساخ والأتربة .

إنها طهارة من نوع جديد .

طهارة تسلح المؤمن بسلاح الوقاية ، وتربطه بالسماء بأسباب غير منظورة ، وتحول بينه وبين همزات الشياطين « وأعوذ بك رب أن يحضرون » .

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه :

قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن ثماني سنوات فقال لي « يا بني ! إن استطعت ألا تزال على الطهارة فافعل ، فإنه من أتاه الموت وهو على الوضوء أعطى الشهادة » .

إن العبد المسلم لا يقدم على الوضوء إلا باسم الله ، ولا

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٨ .

يسكب الماء على جوارحه إلا بعد ذكره لخالقه ، خالق الأرض والسموات .

فالطهارة باسم الله .

وإذا فعل المسلم ذلك تخلص من الأوساخ المادية ، وتخلص من القاذورات المعنوية .

إنك تغسل يديك في الوضوء فتطهرهما مما تأتيه أو تفعله من مخالفة أمر الله .

من اعتدائهما على الغير .

من تناولهما المال الحرام

من أن تبطش بهما من لا يستحق البطش .

من أن تكتب بهما معصية .

من استعمالهما في غير مرضاة الله .

يقول الرسول ﷺ – فيما يرويه الإمام مسلم – عن أبي هريرة رضي الله عنه :

« إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه ، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء . فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء . حتى يخرج نقياً من

الذنوب ، ويغسل المسلم عينيه في الوضوء باسم الله لا باسم المدنية الزائفة .

ولا باسم هيئة من الهيئات الصحية .

ولا باسم مصلحة ذاتية .

ولكنه فقط باسم الله .

وهنا تتطهر عيناه مما تكون قد أصابتهما من نظرة محرمة ؛ أو عورة مكشوفة أو هتك ستّر الآخرين .

ويمضمض المسلم فمه فينظفه من بقايا الطعام ، ومن فتات الخبز ويطهره من لغو الحديث . ومن فلتات اللسان .

ومن الوعود التي لا تتحقق ، حتّى من الصدق الذي يجب ألا يقال . يقول الله تعالى :

« ليسأل الصادقين عن صدقهم » .

فما بالك بالكذب الصراح ، وخداع الكلمة ، وبريق الوعد ، وخداع الألسنة ..؟

إن المسلم عندما يغسل يديه ووجهه ، ويمسح أذنيه ورأسه ، ويمضمض فمه ، وينشق الماء في أنفه : تتجافى عنه ذنوبه كما تتجافى أوراق الشجر في أيام الخريف .

عن عبد الله الصنابحي ــ رضي الله عنه ــ أن الرسول ﷺ قال :

« إذا توضأ العبد فمضمض فمه ، خرجت الخطايا من فيه . فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه ، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه ، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه . فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة »(١) .

فإذا تم الوضوء للمسلمين ، فهم أصحاب الأيدي المتوضئة . يتأدبون بأدب القرآن ويتمذهبون بمذهب النبوة ، فلا يعرفون لغو الحديث ، قال تعالى : « وإذا مروا باللغو مروا كراماً »(٢) .

ولا يعيرون الجاهلين قولاً . قال تعالى :

« وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً »(٣) .

ولا يمشون مشية الخيلاء ، قال تعالى :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً »(٤) .

أصحاب الأيادي المتوضئة ، لا يخرقون الأرض بأقدامهم

---

(١) رواه الموطأ ١/٣١ في الطهارة ، باب جامع الوضوء والنسائي ١/٧٤ و ٧٥ في الطهارة ، باب مسح الأذنين مع الرأس وإسناده صحيح .
(٢) سورة الفرقان آية رقم ٧٢ .
(٣) الفرقان آية رقم ٦٣ .
(٤) الفرقان آية رقم ٦٣ .

ولا يتطاولون بأعناقهم إلى عنان السماء ، تراهم يسهرون الليل مع ربهم ، يحققون عبوديتهم له ويدعونه خوفاً وطمعاً فهم في صحوة دائمة ، وفي يقظة مستمرة ، يقول الله تعالى :

« والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً » (١) .

أصحاب الأيادي المتوضئة لهم علامات لا يخطئها البصر الحصيف ، واشارات تدل عليهم وترمز إلى حقيقتهم .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة ، وأنا أول من يرفع رأسه فانظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم ، ومن خلفي مثل ذلك ، وعن يميني مثل ذلك . فقال رجل :

كيف تعرف أمتك يا رسول الله من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك .. ؟

قال : هم غير محجلون من أثر الوضوء » (٢) .

في وجوههم غرة من نور ينبعث من الجباه التي عفرت بالسجود إلى الله تعالى .

---

(١) الفرقان آية رقم ٦٥ .

(٢) رواه البخاري في الوضوء ٣ ومسلم في الطهارة ٣٤ ، ٣٩ ، والترمذي في الجمعة ٧٤ ، والنسائي في الطهارة ، وابن ماجه في الطهارة ٦ والزهد ٣٤ .

والتحجيل : نور ينبعث من الأقدام التي اعتادت السير في الظلام إلى بيوت الله ، إنها جباه حققت السجود لله والخضوع لأمره والتسليم لحكمه .

وأقدام لم تمل السير سعياً إلى بيوت الله .

ولكن لماذا الماء ..؟ والماء بالذات .

إن الإنسان في رحلة الحياة قد تحيط به الظلمات ، وتكتنفه الشياطين ويران على قلبه فتموت منه الأطراف موتاً معنوياً ، فتفقد الإحساس بالمسئولية فلا تبالي بما تأتي وما تدع ، وعندها يخفت صوت الوازع الديني وتغفل أجهزة المراقبة .

فإذا اتجهت تلك الأطراف إلى الوضوء وتساقطت عليها قطرات الماء وعبق الجو بذكر الله حييت هذه الأعضاء من جديد ، ونشطت واستيقظت وثابت إلى الله ، قال تعالى :

« وجعلنا من الماء كل شيء حي »[1] .

ومن هنا كانت النية في الوضوء . وكان الواجب أن يبدأه بذكر الله . فهو على هذا الأساس : نظافة وطهارة وقربة ودعاء، وتضرع ورجاء .

ولنعد مرة أخرى مع الشباب في تساؤلاته وحيرته فنقول :

هل الصلاة مضيعة للوقت حقاً كما يقول بعضهم ..؟

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٣٠ .

الصلاة التي لا تأخذ إلا لحظات معدودة في اليوم والليلة ، تكون مشغلة للفكر ، ومضيعة للوقت .. ؟

أفي إقامة الصلاة تعطيل لعجلة الحياة ..؟

وكم من الساعات يقضيها شبابنا في الأندية فلا نأسف على ضياعها ؟

وكم من الزمن يضيع في المقاهي والسير في الطرقات بلا هدف أو غاية .. ؟

إن الصلاة تجديد لعمل العاملين .

وتنشيط لطاقة المرهقين .

وإجازة إجبارية للحظات خاطفة وسط أعباء الحياة القاسية ودوامة الوجود المرهقة.ينطلق العبد بعدها نشيطاً إلى عمله ، قال تعالى : « فإذا قُضِيَتِ الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » (١) .

الصلاة فترة حساب بين العبد ونفسه ليراجع منجزاته ، ويقدم كشف حسابه أمام ربه فهو العبد المطيع إن أتقن العمل وجوّده ، وإن لم يكن كذلك فالتوبة والاستغفار ، وأبواب السماء معدة دائماً لاستقبال توبة التائبين واستغفار المقصرين .

والنفوس البشرية لن تتهذب بالكامل إلا بالعودة إلى بارئها ،

---

(١) سورة الجمعة آية رقم ١٠ .

وان تتأدب إلا بالصلاة .

إذن لا بد من العودة خمس مرات في اليوم والليلة إلى الله تعالى والوقوف بين يديه والضراعة إليه .

لا بد للعبد من لحظات خاطفة يتذكر فيها دائماً بأن رقيباً يرصد حركاته ويراقب أعماله ، والنفس البشرية لن تتطهر بالكامل إلا بذكر الله تعالى . فهو الطريق إلى الشفاء من أمراضها ونزعاتهـــا .

ولهؤلاء الشباب الذين يرفضون الصلاة بحجة أن نفوسهم مهذبة وليست في حاجة إلى تقويم ، نسوق رأي الإمام الغزالي في قوم أرادوا أن يتركوا التكاليف الشرعية من صلاة وصيام بحجة أنهم وصلوا إلى درجة الصفاء والطهر وليسوا معه في حاجة إلى اقامة التكاليف .

يقول الإمام الغزالي :

«ومثل هذا الرجل المنخدع بهذا الظن مثل رجل بنى له أبوه قصراً على رأس جبل ووضع فيه شجرة من حشيش طيب الرائحة وأكد الوصية على ولده مرة بعد أخرى أن لا يخلي هذا القصر من هذا الحشيش طول عمره ، وقال : إياك أن تسكن هذا القصر ساعة من ليل أو نهار إلا وهذا الحشيش فيه .

فزرع الولد حول القصر أنواعاً من الرياحين وطلب من البر والبحر أوتاداً من العود والعنبر والمسك وجمع في قصره

جميع ذلك من شجرات كثيرة من الرياحين الطيبة الرائحة.

فانغمرت رائحة الحشيش لما فاحت هذه الروائح.

فقال: لا شك أن والدي ما أوصاني بحفظ هذا الحشيش إلا لطيب رائحته، والآن قد استغنينا بهذه الرياحين عن رائحته فلا فائدة فيه الآن إلا أن يضيّق عليّ المكان فرماه من القصر.

فلما خلا القصر من الحشيش ظهر من بعض ثقب القصر حية هائلة وضربته ضربة أشرف بها على الهلاك فتنبه حيث لم ينفعه التنبيه أن الحشيش كان من خاصته دفع هذه الحية المهلكة. وكان لأبيه بالوصية بالرياحين غرضان:

أحدهما: انتفاع الولد برائحته: وذلك قد أدركه الولد بعقلــه.

والثاني: اندفاع الحيات المهلكات برائحته. وذلك مما قصر عن دركه بصيرة الولد. فاغتر الولد بما عنده من العلم وظن أنه لا سر وراء معلومه ومعقوله كما قال تعالى:

« ذلك مبلغهم من العلم » (١).

وقال أيضاً: «فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم » (٢).

---

(١) سورة النجم آية رقم ٣٠.

(٢) سورة غافر آية رقم ٨٣.

والمغرور من اغترّ بعقله فظن أن ما هو منتفٍ عن علمه فهو منتف في نفسه .

ولقد قال العلماء : إن قلب الآدمي كذلكِ القصر وأنه معشعش حيات وعقارب مهلكات ، وإنما رقيتها وقيدها بطرق خاصة ، هي المكتوبات والمشروعات بقوله تعالى :

« إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » (١) .

كتاباً موقوتاً على المؤمنين في كل عصر ومصر ، وكتاباً موقوتاً على الأمة الإسلامية ، وكتاباً موقوتاً على المجتمع فلا يشذ عن هذه القاعدة أحد ، يقول الرسول ﷺ :

« العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » (٢) .

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٣ .

(٢) رواه الترمذي في الإيمان والنسائي في الصلاة ، وأحمد في المسند .

ثبت بالمراجع

١ – القرآن الكريم

٢ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطابع الشعب ١٣٦٤ هـ .

٣ – صحيح البخاري – محمد اسماعيل البخاري
طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مصر – ١٣٩٠ هـ .

٤ – صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج – احياء الكتب العربية ١٣٧٥ هـ

٥ – سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث
المكتبة التجارية ١٣٩٤ هـ

٦ – مسند الإمام أحمد بن حنبل – أحمد بن حنبل – دار المعارف ، تحقيق أحمد شاكر وأخيه .

٧ – جامع البيان في تفسير القرآن
ابن جرير الطبري : مصطفى البابي الحلبي – ١٩٥٤ .
٨ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير – دار الأندلس / بيروت ، ١٣٨٥ هـ .
٩ – الدر المنثور – للسيوطي – محمد أمين دمج – بيروت .
١٠ – بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان – د . عبد الله دراز .
١١ – ارادة الاعتقـــاد – تأليف وليم جيمس ، د . محمود حب الله .
١٢ – الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي – د . محمد البهي .
١٣ – الاسلام والعقل – د . عبد الحليم محمود .
١٤ – دراسات في النفس الانسانية – الأستاذ محمد قطب .
١٥ – الشيوعية والإسلام – د . مصطفى محمود .
١٦ – الانسان بين المادية والإسلام – الأستاذ محمد قطب .
١٧ – قصة الايمان بين الدين والفلسفة – الشيخ نديم الجسر .

فهرس الموضوعات

رقم مسلسل		الصفحة
١	مقدمة	٥
٢	الحياة والكون بين الدين والعلم	٩
٣	مع أنبياء الله ورسله من بدء الخليقة	٣٣
٤	التزام المسلم تجاه كلمة التوحيد	٥٧
٥	الطريق إلى الله	٨٢
٦	مجتمع الصلاة	١٠٥
٧	مع شبابنا في أفكاره المستوردة	١٢٣
٨	ثبت بالمراجع	١٣٧
٩	فهرس الموضوعات	١٣٩